(٤) سلسلة بحوث لغوية وقرآنية

الناس والزمان

تأليف
الدكتورة فاطمة محمد محجوب
ماجستير ودكتوراه من جامعة تِكْسَس
بالولايات المتحدة الأمريكية
أستاذ علم اللغة بكلية البنات - جامعة الأزهر سابقا

الناشـــر
المكتبة الأزهرية للتراث
٩ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر
☎ ٢٥١٢٠٨٤٧

رقم الإيـــداع : ٢٢٢٠٦ / ٢٠١٠

الترقيم الدولي : 2 – 234 – 315 – 977 – 978

بسم الله الرحمن الرحيم

الناس والزمان

مقدمة

الناس في اللغة: اسم للجمع من بني آدم، واحده إنسان على غير لفظه[1].

والناس: جماعة الإنسان. وحكى بعضهم أنه يقال: ناسٌ من الجنّ/ وحُمل عليه قوله تعالى في سورة الناس: ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾ فهو يجعل من الجنة والناس بيانا للناس. وهذا غير مرضيٍّ عند العلماء، وإنما هو بيان للوسواس، فالوسواس يكون من النوعين: الجِنَّة والنَّاس. والناس من ناسَ يَنُوس أي تحرَّك. وذلك أنهم يتحرَّكون ويتقلَّبون في الأرض فألف (الناس) مبدلة من الواو. وقد قيل: إن أصل الناس الأُناس من الأُنس، فحذفت الهمزة المضمومة لكثرة الاستعمال، فيكون من تركيب (أنس) وأكثر ما يستعمل الناس مقرونًا بأل. ولم يرد في الكتاب إلاّ محلّى بأل.

وقد يراد بالناس الكاملون في الإنسانية وقد يراد بهم قوم معينون بقرينة السياق وقد يراد فرد معين، وصحَّ ذلك لإرادة الجنس، كما يقال: فلان يركب الخيل، وهو إنما يركب فرسًا.

ويكثر ذكر الناس في الكتاب العزيز، وقد ورد فيه أربعين ومائتي مرة.

النَّاس: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾ البقرة: ٨.

واللفظ في ١٣ / ٢١ / ٢٤ / ٤٤ / ٨٣ / ٩٤ / ٩٦ / ١٠٢ / ١٢٤ / ١٢٥ / ١٤٢ / ١٤٣ (مكرر) / ١٥٠ / ١٥٩ / ١٦١ / ١٦٤ / ١٦٥ / ١٦٨ / ١٨٥ /

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم. جمهورية مصر العربية، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ١١٣٥/٢ مادة ن و س.

١٨٧ / ١٨٨ / ١٨٩/١٩٩/٢٠٠/٢٠٤/٢٠٧/٢١٣ (مكرر)/٢١٩/٢٢١/٢٢٤/ ٢٤٣ (مكرر)/٢٥١/٢٥٩/٢٦٤/٢٧٣/البقرة أيضًا و٤/٩/١٤/٢١/٤١/٤٦/ ٦٨/٧٩/ ٨٧/٩٦/٩٧/١١٠/١١٢/١٣٤/١٣٨/١٤٠/١٧٣ (مكرر)/ ١٨٧/ آل عمران و١/ ٣٧/ ٣٨/٥٣/٥٤/٥٨/٧٧/٧٩/١٠٥/١٠٨/ ١١٤/ ١٣٣/١٤٢/١٦١/١٦٥/١٧٠/١٧٤/ النساء و٣٢ (مكرر)/٤٤/ ٤٩/٦٧/ ٨٢/٩٧/١١٠/١١٦/المائدة و٩١/١٢٢/١٤٤/ الأنعام و ٨٥/١١٦/١٤٤/ ١٥٨/١٨٧/الأعراف و ٢٦/٤٧/٤٨/الأنفال و٣/٣٤/ التوبة و٢ (مكرر)/ ١١/ ١٩/٢١/٢٣/٢٤/٤٤ (مكرر)/٥٧/٦٠/٩٢/٩٩/ ١٠٤/ ١٠٨/يونس و١٧/٨٥/١٠٣/١١٨/١١٩/هود و٢١/٣٨ (مكرر)/٤٠/٤٦/٤٩/ ٦٨/ ١٠٣/يوسف و١/٦/١٧/٣١/الرعد و١/٢٥/٣٦/٣٧/ ٤٤/٥٢/ إبراهيم و٣٨/٤٤/٦١/٦٩/النحل و٦٠ (مكرر)/٨٩ (مكرر)/٩٤/١٠٦/الإسراء و٥٤/٥٥/ الكهف و١٠/٢١/مريم و ٥٩/طـه و١/٦١/الأنبياء و١/ ٢/٣/٥/٨/١١/١٨/٢٥/ ٢٧/٤٠/٤٩/٦٥/٧٣/٧٥/٧٨/الحج و٣٥/ النور و٣٧/ ٥٠/الفرقان و٣٩/١٨٣/ الشعراء و١٦/٧٣/٨٢/النمل و٢٣/٤٣/القصص و٢/١٠ (مكرر)/٤٣/٦٧/ العنكبوت و٦/٨/٣٠ (مكرر)/ ٣٣/٣٦/ ٣٩/٤١/٥٨/الروم و٦/١٨/٢٠/٣٣/ لقمان و١٣/٣٧/٦٣/ الأحزاب و٢٨ (مكرر)/٣٦/سبأ و٢/٣/٥/١٥/٢٨/٤٥/ فاطر و٢٦/صٓ و٢٧/٤١/ الزمر و٥٧ (مكرر)/٥٩/٦١ (مكرر)/غافر و٤٢/الشورى و٣٣/الزخرف و١١/الدخان و٢٠/٢٦/الجاثية و٦/الأحقاف و٣/محمد و٢٠/الفتح و١٣/الحجرات و٢٠/القمر و٢٤/٢٥ (مكرر)/الحديد و٢١/الحشر و٦/الجمعة و٦/التحريم و٢/٦/المطففون و٦/الزلزلة و٤/القارعة و٢/النصر و١/٢/٢/٣/٥/٦/ الناس.

وفي بحثنا هذا نتناول ما ورد في المصادر المختلفة عن الناس وأصنافهم وطبائعهم وكيفية التعامل معهم لاتقاء شرهم، وهذه المصادر هي:

(أ) القرآن الكريم. **(ب) السُّنة المشرفة.**

(جـ) الأمثال. **(د) الشعر.**

(هـ) مصنفات التراث.

وفي ختام البحث نسوق الإجابة عن سؤال مطروح وهو: هل الناس يتغيرون بتغير الزمان، أم أن الناس هم الناس بصفاتهم وطبائعهم ونقائصهم منذ بدء الخليقة وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؟

* * * * *

(أ) الناس فى القرآن الكريم:

سقنا مقدما بيانًا بمواضع الآيات التى جاء فيها ذكر الناس، وذلك نقلاً عن (معجم ألفاظ القرآن الكريم)[٢]. انظر هامش (١)، (٢).

(أ) ١- ويخاطب الله تعالى (الناس) فى عدد من الآيات التى أوردها الإمام "ابن الجوزى" تحت عنوان "باب من المتشابه"، ويقصد به الآيات التى تتكرر بها الكلمة فى أكثر من موضع من القرآن. وهى فى هذه الحالة كلمة "يا أيها": التى تتركب من "يا" وهى حرف نداء، و"أى" مُنادى، والهاء للتنبيه، ويليها المنادَى وهو كلمة "الناس" وهذه الآيات هى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ وترد فى عشرين موضعًا:

١- فى البقرة/٢١: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾.

- فى البقرة/١٦٨: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾.

٢- وفى النساء ثلاثة مواضع:

- النساء/١: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ﴾.

- النساء/١٧٠: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ﴾.

- النساء/١٧٤: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾.

٣- وفى يونس ثلاثة مواضع:

- يونس/٥٧: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾.

- يونس/١٠٤: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى﴾.

- يونس/١٠٨: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ﴾.

٤- وفى الحج أربعة مواضع:

- الحج/١: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ﴾.

- الحج/٥: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾.

---

(٢) معجم ألفاظ القرآن - إعداد المرحوم الأستاذ محمد على النجار عضو المجمع. مجمع اللغة العربية ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، ١٧٤/٦، ١٧٥.

- الحج/٤٩: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٤٩﴾.

- الحج/٧٣: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ﴾.

٥- وفي النمل موضع واحد:

- النمل/١٦: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ﴾.

٦- وفي فاطر ثلاثة مواضع:

- فاطر/٣: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ﴾.

- فاطر/٥: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ﴾.

- فاطر/١٥: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ﴾.

٧- وفي لقمان موضع واحد:

- لقمان/٣٣: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ﴾.

٨- وفي الحجرات موضع واحد:

- الحجرات/١٣: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾.

ملاحظة: جاء في هامش (١٠) هذه الإضافة لمحقق الكتاب الدكتور "عبد الفتاح عاشور" ص ١٩٣، وهذه ثمانية عشر موضعًا، وبقى موضعان في:

- الأعراف/١٥٨: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾.

- وفي يونس/٢٣: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ﴾.

(أنظر عجائب علوم القرآن/١٩٣).

فأما ﴿أَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فحرف واحد:

- في النساء/١٣٣: ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾.[٢]

---

(٢) عجائب علوم القرآن لـ «ابن الجوزي» حققه وقدم له وعلق عليه د. عبد الفتاح عاشور ١٩١-١٩٢.

(أ) ٢- صفاتهم وخصالهم:

يعدد الله تعالى الصفات التى يتصف بها الناس عامة، وطبائعهم التى فُطروا عليها، وذلك في عدد من الآيات يبدأ معظمها بلفظ «ومن الناس»ونبدأ بهذا النوع:

(أ) ٢-١ قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾ البقرة: ٨ (انظر بقية الوصف في الآيات ٩-٢٠).

(أ) ٢-٢ قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾ البقرة: ١٦٥

(أ) ٢-٣ ﴿ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾ البقرة: ٢٠٠

(أ) ٢-٤ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ البقرة: ٢٠٤-٢٠٦

(أ) ٢-٥ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ البقرة: ٢٠٧

(أ) ٢-٦ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴾ الحج: ٣

(أ) ٢-٧ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ الحج: ٨

(وانظر بعدها الآيتين ٩ و١٠ وترد الآية نفسها في «لقمان:٢٠»).

(أ) ٢-٨ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ الحج: ١١ (وانظر بعدها الآيتين ١٢، ١٣).

(أ) ٢-٩ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ...... ﴾ العنكبوت: ١٠

(أ) ٢-١٠ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ لقمان: ٦ (وانظر بعدها «الآية ٧»).

أما النوع الثانى وهو الآيات التى تتناول صفات الناس وطبائعهم ولكنها لا تبدأ بلفظ «ومن الناس» فبيانها كما يلى:

(أ) ٢-١١ ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ ﴾ آل عمران: ١٤

(أ) ٢-١٢ ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ ﴾ النساء: ٣٧

(أ) ٢-١٣ ﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ﴾ النساء: ٣٨

(أ) ٢-١٤ ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ المائدة: ٤٩

(أ) ٢-١٥ ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ الأنفال: ٤٧

(أ) ٢-١٦ ﴿ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ ﴾ يونس: ١١

(أ) ٢-١٧ ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ ﴾ يونس: ٢١

(أ) ٢-١٨ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ يونس: ٤٤

(أ) ٢-١٩ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ غافر: ٦١

(أ) ٢-٢٠ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ يونس: ٦٠

(أ) ٢-٢١ ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ النمل: ٧٣

(أ) ٢-٢٢ ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ يونس: ٩٢

(أ) ٢-٢٣ ﴿ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ هود: ١٧

(أ) ٢-٢٤ ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يوسف: ٢١

(أ) ٢-٢٥ ﴿ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ يوسف: ٣٨

(أ) ٢-٢٦ ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ يوسف: ٤٠

(أ) ٢-٢٧ ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ يوسف: ١٠٣

(أ) ٢-٢٨ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ الرعد: ١

(أ) ٢-٢٩ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ﴾ الرعد: ٦

(أ) ٢-٣٠ ﴿بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ النحل: ٣٨

(أ) ٢-٣١ ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ﴾ النحل: ٦١

(أ) ٢-٣٢ ﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا﴾ الإسراء: ٨٩

(أ) ٢-٣٣ ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾ الأنبياء: ١

(أ) ٢-٣٤ ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ﴾ الحج: ١٨

(أ) ٢-٣٥ ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا﴾ الفرقان: ٥٠

(أ) ٢-٣٦ ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ الروم: ٨

(أ) ٢-٣٧ ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرّٞ دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنۡهُ رَحۡمَةً إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ الروم: ٣٣

(أ) ٢-٣٨ ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾ الروم: ٣٦

(أ) ٢-٣٩ ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ﴾ الحديد: ٢٤

ومن طبائع الناس التى حمل عليها القرآن الكريم «النفاق»

بحث قيم لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ أبى الوفا المراغى:

ومن طبائع الناس التى حمل عليها القرآن «النفاق»، ونجد من المفيد إن شاء الله تعالى أن نسوق بعض ما جاء في بحث قيم لفضيلة الأستاذ الجليل «الشيخ أبى الوفا المراغى» حيث يقول رحمهُ الله:

«النفاق قديم ابتُلى به الناس، وأغلب الظن أنه نشأ مع الإنسان: فقد فطر الله الناس مختلفى الطباع قوةً وضعفًا، وشجاعةً وجبنًا: والنفاق في أكثر الأحيان يلازم ذوى النفوس الضعيفة التى يسهل تلوينها بوسائل الإغراء». وقد عرف العلماء النفاق بعبارات كثيرة:

فعن «الحسن»: النفاق اختلاف السر والعلانية، والقول والعمل، والمدخل والمخرج.

وعن «عبد الله بن جراد»: المنافق يملك عينه يبكى كما يشاء. قال المناوى لأنه ذو لونين باطن وظاهر، ويقين وشك، وإخلاص ورياء، وصدق وكذب، وصبر وجزع. وإن أشهر هذه العبارات وأجمعها ما عرفه به بعضهم، وهو: أن يظهر الإنسان خلاف ما يبطن. فإذا أظهر الإنسان خلاف ما أبطن من عقيدة التوحيد بالله وبأنبيائه وباليوم الآخر، فهو منافق كافر؛ وإذا أظهر خلاف ما أبطن من غير ذلك، فهو منافق مخادع.

وعلى هذا فالرياء، والخداع، والتدليس، والمصانعة، والمداهنة: كلها أفراد لهذا الجنس البغيض؛ أعنى النفاق.

وقد تحدث الإسلام كثيرًا عن نوع خاص من النفاق، وهو النفاق في العقائد؛ وهو أن يظهر الإنسان الإسلام ويبطن الكفر: لأنه أشد أنواعه خطرًا على الأمة. والمنافقون على هذا الوجه من شر ما تُبتلى بهم الأمم والجماعات؛ لأنهم يظاهرون أعداءها، ويدلونهم على مواطن الضعف فيها، وهم على بينة منها.

وقد قسا القرآن وقست السُّنة في عقاب هؤلاء، وسلكاهم في نظام الكافرين؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ بل جعلهم

القرآن شرًا من الكافرين؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾...

وقال تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾، وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾، وقال تعالى ﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ﴾.

وعن النبى ﷺ: «إن المنافق ليصلى فيكذبه الله عز وجل، ويصوم فيكذبه الله عز وجل، ويتصدق فيكذبه الله، ويقاتل فيُقتل فيُجعل في النار»، وعنه ﷺ «المنافق يعبد هواه، لا يهوى شيئًا إلا ركبه».

وعن النبى ﷺ: «تجد من شرار الناس يوم القيامة ذا الوجهين: الذى يأتى هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه». وعن أبى فضالة قال: كان بعض المهاجرين يقول: والله ما أخاف المسلم ولا أخاف الكافر؛ أما المسلم فيحجزه إسلامه، وأما الكافر فقد أذله الله عز وجل، ولكن كيف لى بالمنافق؟.

(انظر الحديث رقم ٣٢٤١ تحت (ب) - الناس في السُّنة المشرفة بعد)

(قالت المؤلفة: نضيف هنا الحديث الشريف عن النبى ﷺ «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتُمن خان». أخرجه الجلال السيوطى في الجامع الصغير من رواية البخارى ومسلم والترمذى والنسائى عن أبى هريرة وقال عنه حديث صحيح.

وقوله ﷺ «مَثَل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغَنَمين: تُعبر إلى هذه مرة، وإلى هذه مرة، ولا ترى أيهما تتبع» أخرجه الجلال السيوطى في الجامع الصغير من رواية أحمد في مسنده، ومسلم، والنسائى، وقال عنه: حديث صحيح).[٤]

---

(٤) الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحيم بن أبى بكر السيوطى شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر، ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م، ٥/١. انظر أيضًا فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلامة المناوى توزيع دار إحياء السنة النبوية المكتبة التجارية الكبرى القاهرة. د. ت، ٦٣/١، والطبعة الأولى ١٣٥٦ هـ ١٩٣٨ م، ٥١٥/٥، رقم ٨١٥٨.

وعن عمر رضى الله عنه «ما أخاف عليكم أحد رجلين: رجل مؤمن قد تبين إيمانه، ورجل كافر قد تبين كفره، ولكن أخاف عليكم منافقًا يتعوذ بالإيمان ويعمل بغيره».

هذا نظر الإسلام إلى النفاق والمنافقين، وهذا موقفه منهم؛ وإنه موقف حازم وصارم هم جديرون به؛ لأنهم جراثيم في أجسام الأمم يفتكون بها ويسلبونها أمنها واستقرارها.

وقد راجت سوق النفاق في هذا العصر، وساعد على رواجها رواج التسلط في الأمم، وشهوة الأفراد القوية في الربح المادى من أى وجه وبكل حيلة، فأصبحت الأمم القوية تخادع الأمم الضعيفة عن حريتها، وتساومها في مصائرها، وأصبح الأفراد يخادع بعضهم بعضا، وشاع النفاق في كل شأن من شئون الناس، وصار غير مستغرَب ولا مستنكر أن يعد الرجل ولا يفى، ويستقرض ولا يؤدى، ويقول ولا يعمل، ويهنئ وكان من أمانيه أن يعزى، ويتظاهر بالصداقة وقلبه مملوء بالحقد والضغينة[5].

وقد عدد الله تعالى صفات المنافقين في الثمانى الآيات الأولى من سورة المنافقين، وعدد آياتها إحدى عشرة آية.

كما حمل القرآن الكريم على فئة أخرى من الناس هم «المطففون»، وذلك في قوله تعالى في أول سورة المطففين يحذرهم ويتوعدهم: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦)﴾ (المطففين ١-٦).

---

(٥) نظر الإسلام إلى النفاق والمنافقين لفضيلة الأستاذ الجليل «أبى الوفاء المراغى» إعداد وتقديم «عبد الفتاح حسين الزيات». من روائع الماضى بمجلة الأزهر الجزء الخامس السنة الثانية والستون. جمادى الأول ١٤١٠ هـ ديسمبر ١٩٨٩ م/٤٩٠-٤٩٢.

(ب) الناس فى السُّنة المشرفة:

من أحاديثه ﷺ التى وردت فى المنتخب:

«إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده، أوشك أن يعمهم الله تعالى بعذاب».

يدل هذا الحديث على قيمة التناهى عن الشر فى الجماعات والشعوب (١٥٢/٢).

«لا يكن أحدكم إمَّعَة: يقول: أنا مع الناس، إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت، ولكن وطِّنُوا أنفسكم إنْ أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم».

الإمَّعة: المتردد لا يثبت على رأى كما يفسر ذلك سائر الحديث (١٥٣/٢).

(المنتخب من أدب العرب لـ «طه حسين» وزملائه طبعة وزارة المعارف العمومية ١٩٣٤، ١٥٢/٢، ١٥٣).

(ب) الناس فى السُّنة المشرَّفة: نسوق منها الأحاديث التالية نقلًا عن كتاب «فيض القدير شرح الجامع الصغير» للعلامة المناوى. وندرجها تحت أرقامها التى وردت بها. ونرمز للحديث الصحيح بالرمز (صح) وللحسن بالرمز (ح)، وللضعيف بالرمز (ض):

٥٧- «أبغض الناس إلى الله ثلاثة: مُلحد فى الحرم، ومبتغٍ فى الإسلام سُنة الجاهلية، ومُطَّلب امرئٍ بغير حق ليهريق دَمه». للبخارى عن ابن عباس (صح) (٨١/١، ٨٢).

١٦٥- «اثنان فى الناس هُما بهم كُفْر: الطعن فى الأنساب والنياحة على الميت». لأحمد فى مسنده، ومسلم عن أبى هريرة (صح) (١٥٠/١).

٢٣١- «احترسوا من الناس بسوء الظن». للطبرانى فى الأوسط، ولابن عديٍّ فى الكامل، وكذا العسكرى فى الأمثال كلهم عن أنس (ض) (١٨١/١، ١٨٢) ويشرح العلاَّمة عبد الرؤوف المناوى الحديث فيقول رحمه الله: «احترسوا من الناس» أى من شرارهم «بسوء الظن» أى تحفظوا منهم تحفظ من أساء الظن بهم. كذا قاله مطرف التابعى الكبير وقيل أراد لا تثقوا بكل أحد فإنه أسلم لكم. ويدل عليه خبر ابن عساكر عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا «مَنْ حسن ظنه بالناس كثرت

ندامته». وقال معاوية لعُبَيْد بن شَبْرُمة وقد أتت عليه مائتا سنة: ما شاهدت ؟ قال: أدركت الناس وهم يقولون ذهب الناس، وقيل ما بقى من الناس إلا كلب نابح أو حمار رامح فاحذروهما. وقال بعضهم: لو أن الدنيا ملئت سباعا وحبات وحيَّات ما خفتها فلو بقى إنسان واحد لخفته؛ ومن أمثالهم: رُبَّ زائر يراوحك ويناديك وهو ممن يكادحك ويعاديك، وما أحسن قول الصولى:

لو قيل لى خذ أمانًا من أعظم الحدثان

لما أخذت أمانًا إلا من الخِلان

ولا يعارض هذا خبر «إياكم وسوء الظن» لأنه فيمن تحقق حسن سريرته وأمانته، والأول فيمن ظهر منه الخداع والمكر وخلف الوعد والخيانة والقرينة تغلِّب أحد الطرفين فمن ظهرت عليه قرينة سوء الظن يُستَعمل معه سوء الظن، وفي إشعاره تحذير من التغفل وإشارة إلى استعمال الفطنة، فإن كل إنسان لابد له من عدو بل أعداء يأخذ حذره منهم؛ قال بعض العارفين هذه حالة كل موجود لابد له من عدو وصديق بل هذه حالة سارية في الحق والخلق: قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ (الممتحنة: ١) فهم عبيده وأعداؤه فكيف حال العبيد بعضهم مع بعض بما فبهم من التنافس والتحاسد والتحاقد...

قال الهيثمى: تفرَّدَ به بقية بن الوليد وهو مدلِّس وبقية رجاله ثقات انتهى. وقال المؤلف في الكبير: حسن وهو ممنوع فقد قال ابن حجر في الفتح خرَّجه الطبرانى في الأوسط من طريق أنس وهو من رواية بقية بالعنعنة عن معاوية بن يحيى وهو ضعيف فله علَّتان.. وصح منه قول مطرف أخرجه مسدد (١/١٨١، ١٨٢).

٢٨٣- أُخْبُر تَقْلُه. لأبى يعلى في مسنده، والطبرانى في الكبير، وابن عديٍّ في الكامل عن أبى الدرداء (١/٢٠٦).

ونسوق فيما يلى شرح الحديث للحافظ المناوى. قال رحمه الله:

(أُخْبُر) بضم الهمزة والموحدة أمر بمعنى الخبر (تَقْلُهْ) بفتح فسكون فضم أو كسر من القلى البغض الشديد قال في الكشاف كأنه بغض يقلى فؤاد والكبد انتهى والهاء للسكت وهذا لفظ رواية أبى يعلى ولفظ رواية ابن عدى وغيره وجدت

الناس أخبر تقله أى وجدت أكثرهم كذلك أى علمتهم مقولا فيهم هذا القول ما منهم من أحد إلا وهو مسخوط الفعل عند الخبرة فإذا خبرته ابغضته كذا قرره بعض الأعاظم، وظاهر اقتصاره على جعل الهاء للسكت أنها ليست إلا له لكن ذكر فيه في الكشف أنها إما للسكت أو ضمير حيث قال قيل مقول في شأنهم فهو ثانى المفعولين والضمير العائد الى الأول محذوف والهاء للسكت أو هو الضمير نظرًا إلى لفظ الناس وقيل وجدت بمعنى عرفت والناس مفعول أخبر مقدمًا أى عرفت هذه القصة وتحققتها وجدانا وأيًا مًّا كان فالقصد أن من جرب الناس عرف خبث سرائر أكثرهم وندرة انصافهم وفرط استئثارهم وفي العيان ما يغنى عن البرهان وفي هذا اللفظ من البلاغة ما هو غنى عن البيان. وقد قيل اللفظ الحسن إحدى النفاثات في العقد. قال الغزالى: واحذر خصوصًا مخالطة متفقهة هذا الزمان سيما المشتغلين بالخلاف والجدال فإنهم يتربصون بك -لحسدهم- ريب المنون ويقطعون عليك بالظنون ويتغامزون وراءك بالعيون يحصون عليك عثراتك في عشرتهم وفي عشيرتهم ويجبهونك بها في عصبتهم ومناظرتهم لا يقيلون لك عثرة ولا يغفرون لك زلة ولا يسترون لك عورة يحاسبونك على النقير والقطمير ويحسدونك على القليل والكثير ويحرضون عليك الإخوان بالتهمة والبهتان إن رضوا فظاهرهم الملق، وإن سخطوا فباطنهم الحنق، ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب. هذا ما قضت به المشاهدة في أكثرهم إلا من رحم الله فصحبتهم خسران ومعاشرتهم خذلان، هذا حكم من يظهر لك الصداقة فكيف بمن يجاهرك بالعداوة ؟ إلى هنا انتهى كلام حجة الإمام الغزالى رحمه الله: فإذا كان هذا زمانه فما بالك بهذا الزمان ؟ ومن نظم أبى الحسين الطائى رحمه الله:

نظرت وما كل امرئ ينظر الهدى	إذا اشتبهت أعلامه ومذاهبه
فأيسنت أن الخير والشر فتنة	وخيرهما ما كان خيراً عواقبه
أرى الخير كل الخير ان يهجر الفتى	أخاه وأن ينأى عن الناس جانبه
يعيش بخير كل من عاش واحدا	ويخشى عليه الشر ممن يصاحبه

وقضية صنيع المؤلف أن هذا هو الحديث بتمامه، ولا كذلك، بل بقيته: وثق بالناس رويدًا - انتهى. وممن ساقه هكذا هو في جامعه الكبير (عن طب عد حل عن أبي الدرداء) قال الزركشي سنده ضعيف وقال الهيثمي فيه أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف، وقال ابن الجوزي حديث لا يصح، وقال السخاوي رحمه الله طرقه كلها ضعيفة لكن شاهده في الصحيحين: «الناس مائة لا تجد فيها راحلة» انتهى كلامه إلى هنا (١/٢٠٦، ٢٠٧).

قالت المؤلفة: أدرج الميداني الحديث في الأمثال بعنوان «وجدتُ الناس أُخْبُر تَقْلِه» تحت رقم ٤٢٥٧ فانظره تحت (جـ) «الناس في الأمثال» انتهى.

٩٦١- «ازهد الناس في العالم أهله وجيرانه» لأبي نعيم في الحلية عن أبي الدرداء، لابن عديّ في الكامل عن جابر (ض).

يقول الحافظ المناوي في شرحه للحديث: قال الماوردي: فإذا قرب منك العالم فلا تطلب ما بعُد وربما انبعث نفس الإنسان إلى من بَعُد عنه استهانة بمن قرب منه وطلب ما صعب احتقارًا لما سهل عليه وانتقل إلى من لم يخبره مللًا من خبره فلا يدرك مطلوبًا ولا يظفر بطائل. وأنشد بعضهم يقول:

لا ترى عالمًا يحلُّ بقوم	**فيحلّوه غير دار هوان**
هذه مكة المنيفة بيت الـ	**ـله يسعى لحجها الثقلان**
وترى أزهد البرية في الحجِّ	**جِ لها أهلها لقرب مكان**

(١/٤٨١، ٤٨٢).

١٠٥٠- «أشد الناس يوم القيامة عذابًا إمام جائر» لأبي يعلى في مسنده، وللطبراني في الأوسط، ولأبي نعيم في الحلية عن أبي سعيد (ح) (١/٥١٧).

١٠٥١- «أشد الناس عذابًا يوم القيامة من يرى الناس أن فيه خيرًا ولا خير فيه». أبو عبد الرحمن السُلمي في الأربعين. وللديلمي في مسند الفردوس عن ابن عمر (ض) (١/٥١٧).

١٠٥٣- «أعرضوا عن الناس، ألم تر أنك إن ابتغيت الريبة في الناس أفسدتهم، أو كدت تفسدهم». للطبراني في الكبير عن معاوية (ض) (١/٥٥٩).

١١٨٥- «أعظم الناس همًّا المؤمن يهتم بأمر دنياه وأمر آخرته». لابن ماجه عن أنس (ض) (٥/٢).

١١٩٢- «أعلم الناس من يجمع علم الناس إلى علمه، وكل صاحب علم غرثان». لأبى يعلى فى مسنده عن جابر (ض) (غرثان: جائع يعنى متلهف متعطش منهمك على استفادة ما عند غيره مما ليس عنده) (٨/٢).

١٣٨٦- «أكثر الناس ذنوبًا يوم القيامة أكثرهم كلامًا فيما لا يعنيه». ابن لال وابن النجار عن أبى هريرة، السجزى فى الإبانة عن عبد الله بن أبى أوفى. لأحمد فى مسنده، فى الزهد عن سلمان موقوفًا (ح) (٨١/٢).

١٤١٦- «أكرم الناس أتقاهم». للبخارى ومسلم عن أبى هريرة (صح) (٩٠/٢).

١٩١٦- «إن الله تعالى يعذب يوم القيامة الذين يعذبون الناس فى الدنيا». لأحمد فى مسنده، ومسلم، وأبى داود عن هشام بن حكيم، ولأحمد فى مسنده، وللبيهقى فى شعب الإيمان عن عياض بن غنم (صح) (٣٠٤/٢).

٢١٣٦- «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمَّهم الله بعذاب منه». لأبى داود، والترمذى، وابن ماجه عن أبى بكر (صح) (٣٩٩/٢)

٢١٤٠- «إن الناس لا يرفعون شيئًا إلا وضعه الله تعالى». للبيهقى فى شعب الإيمان عن سعيد بن المسيب مرسلًا (ض) (٤٠١/٢).

والمعنى: لا يرفعون شيئًا: أى بغير حق أو فوق منزلته التى يستحقها.

٢١٤١- «إن الناس لم يعطوا شيئًا خيرًا من خُلُق حسن». للطبرانى فى الكبير عن أسامة بن شريك (ض) (٤٠١/٢).

٢١٥٧- «إن أبخل الناس من بخل بالسلام، وأعجز الناس من عَجَز عن الدعاء». لأبى يعلى فى سنده عن أبى هريرة (ض) (٤٠٥/٢).

٢١٧٤- «إن أحب الناس إلى الله تعالى يوم القيامة، وأدناهم منه مجلسًا إمام عادل، وأبغض الناس إلى الله تعالى، وأبعدهم منه إمام جائر». لأحمد فى مسنده والترمذى عن أبى سعيد (ح) (٤١١/٢، ٤١٢).

٢٢٠٧- «إن أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضًا ـفي الباطل». لابن أبى الدنيا ـفي الصمت عن قتادة مرسلًا (ح) (٤٢٦/٢).

٢٢٨٣- «إن شرَّ الناس منزلةً عند الله يوم القيامة من يخاف الناس من شره». للطبرانى ـفي الأوسط عن أنس (صح) (٤٥٤/٢).

٢٢٨٤- «إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فُحشه». للبخارى ومسلم، ولأبى داود وللترمذى عن عائشة (صح) (٤٥٤/٢).

٢٨٨٤- «ألا أنبئك بشر الناس؟ من أكل وحده، ومنع رفده، وسافر وحده، وضرب عبده. ألا أنبئك بشرٍّ من هذا؟ من يُخشى شره، ولا يُرجَى خيره. ألا أنبئك بشر من هذا؟ من باع آخرته بدنيا غيره. ألا أنبئك بشر من هذا؟ من أكل الدنيا بالدين». لابن عساكر عن معاذ (ض) (١١٤/٣، ١١٥).

٣٢٤١- «تجدون الناس معادن: فخيارهم ـفي الجاهلية خيارهم ـفي الإسلام إذا فقِهوا، وتجدون خير الناس ـفي هذا الشأن أشدهم له كراهية قبل أن يقع فيه، وتجدون شر الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه، ويأتى هؤلاء بوجه». لأحمد ـفي مسنده، وللبخارى ومسلم عن أبى هريرة (٢٢٩/٣، ٢٣٠).

٤٨٧٧- «شر الناس الذى يُسألُ بالله ثم لا يُعطِى» للبخارى ـفي التاريخ عن ابن عباس (صح) (١٥٩/٤).

٤٨٧٨- «شر الناس المضيِّق على أهله». للطبرانى ـفي الأوسط عن أبى أمامة (ح) (١٥٩/٤).

٤٨٧٩- «شر الناس منزلة يوم القيامة من يُخاف لسانه أو يُخاف شره». لابن أبى الدنيا ـفي ذم الغَيبة عن أنس (١٥٩/٤).

٥٠٤٧- «صنفان من الناس إذا صَلَحا صَلَح الناس، وإذا فَسَدا فَسَد الناس: العلماء والأمراء». لأبى نعيم ـفي الحلية عن ابن عباس (ض) (فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلامة المناوى ٢٠٩/٤).

ويشرح العلامة المناوى الحديث فيقول بعد قوله: «العلماء والأمراء: فبصلاحهما صلاح الناس وبفسادهما فساد الناس فالعالم يقتدى الناس به في أفعاله وأقواله: إن خيرًا فخير وإن شرا فشر والأمير يحمل الناس على ما يصلحهم أو يفسدهم ولا يمكن مخالفته (حل) وكذا الديلمى (عن ابن عباس ورواه عنه أيضًا ابن عبد البر، قال الحافظ العراقى وسنده ضعيف.

٨١٧٠- «مُداراة الناس صَدقة». لأحمد في مسنده، وللطبرانى في الكبير، وللبيهقى في شعب الإيمان عن جابر (صح) (٥/٥١٩).

يقول الحافظ المناوى في شرحه لهذا الحديث: قال العامرى: المداراة اللين والتعطف، معناه أن من ابتُلى بمخالطة الناس معاملة ومعاشرة فألان جانبه وتلطف ولم ينفِّرهم كُتب له صدقة؛ قال ابن حبان: المداراة التى تكون صدقة للمدارى تخلُّقه بأخلاقه المسحسنة مع نحو عشيرته ما لم يُشِنْها بمعصية. والمداراة محثوث عليها مأمور بها ومن ثَم قيل اتسعت دار من يدارى، وضاقت دار من يمارى.

وفي شرح البخارى قالوا: المداراة الرفق بالجاهل في التعليم وبالفاسق بالنهى عن فعله وترك الإغلاظ عليه. والمداهنة معاشرة الفاسق، وإظهار الرضا بما هو فيه. الأولى مندوبة والثانية مُحرَّمة.

وقال حجة الإسلام: الناس ثلاثة أحدهم مثل الغذاء لا يُستغنى عنه، والآخر مثل الدواء يُحتاج إليه في وقت دون وقت، والثالث مثل الداء لا يحتاج إليه لكن العبد قد يُبتلَى به وهو الذى لا أنس فيه ولا نفع فتجب مداراته إلى الخلاص منه (لابن حبان في صحيحه والطبرانى في الكبير، وللبيهقى في شُعب الإيمان عن جابر ابن عبد الله ٥/٥١٩).

٩١٥٤- «المؤمن الذى يخالط الناس، ويصبر على أذاهم؛ أفضل من المؤمن الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم». لأحمد في مسنده، وللبخارى في الأدب، وللترمذى، ولابن ماجه عن ابن عمر (٦/٢٥٥).

٩٣٠٤- الناس رجلان: عالم ومتعلّم. ولا خير فيما سواهما. للطبرانى في الكبير عن ابن مسعود (ض) (٦/٢٩٤).

٩٣٠٥- «الناس ثلاثة: سالم، وغانم، وشاجب». للطبراني ـ في الكبير عن عقبة بن عامر، وأبى سعيد (ض) (٦/٢٩٥).

ويشرح الحافظ المناوى هذا الحديث بقوله: شاجب أى هالك، إما سالم من الإثم، وإما غانم للأجر، وإما هالك آثم. قال أبو عبيد: ويروى الناس ثلاثة: السالم: الساكت، والغانم الذى يأمر بالخير وينهى عن المنكر، والشاجب الناطق بالخنا المعين على الظلم (الطبراني ـ في الكبير، وكذا أبو يُعْلَى عن عقبة بن عامر الجهنى وعن أبى سعيد الخدرى) قال الهيثمى: فيه ابن لهيعة وفيه ضعف، وقال شيخه العراقى ضعَّفه ابن عدى (٦/٢٩٥).

٩٣٠٦- «الناس معادن، والعرق دسَّاس، وأدب السوء كعِرق السوء». للبيهقى ـ في شعب الإيمان عن ابن عباس (ض) (٦/٢٩٥).

وقد أورد ابن ماجه الحديث التالى تحت رقم ٣٩٩٠ ـ في باب من ترجى له السلامة من الفتن: حدثنا هشام بن عمار: حدثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردى: حدثنا زيد بن أسلم، عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «الناس كإبل مائة، لا تكاد تجد فيها راحلة»[٦]. وجدير بالذكر أن الميدانى أورد هذا الحديث من بين الأمثال تحت رقم ٢٣٢، وشرحه بقوله: أى أنهم كثير، ولكن قَلَّ منهم من يكون فيه خير (مجمع الأمثال للميدانى ٣/٣٨٤).

وأورد الحافظ السيوطى الحديث التالى تحت الرقم ٤١٨ على النحو التالى:

٤١٨- حديث: «الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم». أخرجه الصريفيني ـ في بعض أجزائه عن عمر بن الخطاب مرفوعًا.[٧] (الدرر المنتثرة ـ في الأحاديث المشتهرة للحافظ جلال الدين السيوطى/٣٩٩).

---

(٦) فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلاَّمة المناوى محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوى على كتاب «الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير «للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى توزيع دار إحياء السنة النبوية. د. ت، ١/٨١، ٨٢، ١٥٠، ١٨١، ١٨٢، ٢٠٦، ٢٠٧، ٤٨١، ٤٨٢، ٥١٧، ٥٥٩، و ٢/٥، ٨، ٨١، ٩٠، ٣٠٤، ٣٩٩، ٤٠١، ٤٠٥، ٤١١، ٤١٢، ٤٢٦، ٤٥٤، و ٣/١١٤، ١١٥، ٢٢٩، ٢٣٠، و ٤/١٥٩، ٢٠٩، ٥١٩ و ٦/٢٥٥، ٢٩٤، ٢٩٥، وسنن ابن ماجه السنن للإمام الحافظ أبى عبد الله محمد بن يزيد الربعى ابن ماجه القزويني. بإشراف ومراجعة فضيلة الشيخ «صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ». دار السلام الرياض الطبعة الأولى محرم ١٤٢٠ هـ الموافق أبريل ١٩٩٩ م/٥٧٤.

(٧) الدرر المنتثرة ـ في الأحاديث المشتهرة للحافظ جلال الدين السيوطى دراسة وتحقيق «محمد عبد القادر عطا «دار الاعتصام القاهرة ١٩٨٧ م/٣٩٩.

(جـ) الناس فى الأمثال:

يرد ذكر الناس وصفاتهم وطبائعهم وكيفية التعامل معهم في عدد من الأمثال نسوقها فيما يلى مشفوعة بالشرح، وندرجها تحت أرقامها التى وردت بها في النص، وهو كتاب «مجمع الأمثال» للميدانى، وبالله التوفيق.

٣٨٨- «إنه ينبح الناس قَبَلا»، يضرب لمن يشتم الناس من غير جُرم، ونصب «قَبَلا» على الحال. أى مقابلا (١/١٣٣).

١١٠٦- الحزم سوء الظن بالناس

هذا يُروَى عن أكثم بن صَنيفيٍّ التميميّ» (١/٣٦٩).

١٩٨٩- شَرُّ الناس من مِلْحُهُ على رُكْبته

يضرب للنزق السريع الغضب، وللغادر أيضًا. قلت هذا لفظ يحتاج إلى شرح، والأصل فيه أن العرب تسمى الشحم ملحًا لبياضه، وتقول: أملحتُ القدرَ، إذا جعلت فيها الشحم، وعلى هذا فُسِّر قوله:

لا تلُمها إنهــا مــن نِســوة ملْحها موضوعةٌ فوق الرُّكب

يعنى من نسوة همها السِّمَن والشحم، فكان معنى المثل: شر الناس من لا يكون عنده من العقل ما يأمره بما فيه مَحْمدة، إنما يأمره بما فيه طيش وخفة وميل إلى أخلاق النساء، وهو حب السِّمَن.

والملــح يُذكَّــر ويــؤنَّــث

(٢/١٧٠، ١٧١).

٢٩٠٦- «الانقباض عن الناس مَكْسَبةٌ للعداوة، وإفراط الأنس مكسبة لقرناء السوء».

قاله أكثم بن صيفى، قال أبو عبيد: يريد أن الاقتصاد في الأمور أدنى إلى السلامة.

يضرب في توسط الأمور بين الغلوّ والتقصير، كما قال الشاعر:

إن كنت مُنبسطًا سُمّيت مَسْخرةً ... أو كنت مُنقبضًا قالوا به ثِقَلُ

وإن أعاشرهم قالوا لِهَيْبتنا ... وإن أُجانِبْهُم قالوا به مَلَلُ

(٥٠٣/٢)

٣٤٦٩- «لن يزال الناس بخير ما تباينوا، فإذا تساووا هلكوا». أى ما داموا يتفاوتون في الرتب؛ فيكون أحدهم آمرًا والآخر مأمورًا، فأذا صاروا في الرتب سواء لا ينقاد بعضهم لبعض فحينئذ هلكوا، والجالب للباء في «بخير» معنى فعل، وهو: لن يزالوا منفصلين ومُتّسمين بخير.

وقال أبو عبيد: أحسب قولهم: «فإذا تساووا هلكوا» لأن الغالب على الناس الشّرُّ، وإنما يكون الخير في النادر من الرجال لعزته فإذا كان التساوى فإنما هو في السوء (١٤٥/٣).

٣٨٣١- ما أَشْبه الليلة بالبارِحَهْ

أى ما أشبه القوم ببعض

يُضرب في تساوى الناس في الشّر والخديعة. وتمثل به الحسن رضى الله عنه في بعض كلامه للناس. وهو من بيت أوله:

كلهـم أرْوغُ مـن ثعلـبٍ ... مـا أشبـه الليلـةَ بالبارِحَـهْ

(٢٦٣/٣)

(البيت مع آخر لطرفة بن العبد/٨٧).

٢٩٩٤- من عاشر الناس بالمكر كافأوه بالغدر

(٣٠٤/٣).

٤٠٥٧- من نَجَل الناس نَجَلوه.

النَّجْل: أن تضرب الرجل بمقدّم رجلك فيتدحرج.

ومعنى المثل: من شارّ الناس شارُّوه.

ويجوز أن يكون من نَجَل إذا رمى أو من نجل إذا طعن، أى من رماهم بشتم رموه بمثله (٣/٣٢٧).

٤٢٠١- الناس إخوانٌ وشَتّى فى الشِّيَم

قوله: «إخوان» أى أشباه وأشكال، وشَتّى: فَعْلَى من الشَّتّ، وهو التفرُّق، والشِّيم: الأخلاق الكريمة إذا أتى بها غير مقيدة كما أن جعدا إذا أطلق كان مدحًا، يقال رجل جَعْد، فإذا قُيِّد كان ذما، نحو قولهم: جعد اليدين، أى أنهم وإن كانوا مجتمعين بالأشخاص فشِيَمُهُم مختلفة (٣/٣٧٣).

٤٢٣٠- الناس كأسنان المُشْط

أى متساوون فى النسب، أى كلهم بنو آدم (٣/٣٨٣).

٤٢٣١- الناس بخير ما تباينوا

أى ما دام فيهم الرئيس والمرؤوس، فإذا تساووا هلكوا (٣/٣٨٤).

٤٢٣٢- الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة

أى أنهم كثير، ولكن قَلَّ منهم من يكون فيه خير (٣/٣٨٤).

قالت المؤلفة يلاحظ: أن ما ساقه الميدانى هنا على أنه مثل هو حديث شريف أورده ابن ماجه فى سننه تحت رقم (٥٧٤) وأوردناه فى موضعه من «الناس فى السنة المشرفة» تحت رقم (ج) سابقًا.

٤٢٧٤- الناس أخياف

أى مختلفون، والأَخْيَف: الذى اختلفت عيناه، فتكون إحداهما سوداء والأخرى زرقاء، والخيف: جمع أَخْيَف وخَيْفاء، والأخياف: جمع الخِيف أو الخَيَف، الذى هو المصدر، وهو اختلاف العينين، والتقدير: الناس أُولو أخياف، أى اختلافات. يُضرب فى اختلاف الأخلاق (٣/٣٩٤).

٤٢٨١- نصف العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس

وهذا يُروى فى حديث مرفوع (٣/٣٩٥).

٤٣٥٧- وجدت الناسَ اخْبُرْ تَقْلُهْ

ويجوز: «وجدت الناس «بالرفع على وجه الحكاية للجملة، كقول ذى الرمة:

سمعتُ الناس ينتجعون غيثاً　　فقلتُ لصَيْدَح انتجعى بِلالا

أى سمعت هذا القول، ومن نصب الناس نصبه بالأمر اى اخْبُر الناس تَقْلُ، وجعل وجدت بمعنى عرفت هذا المثل. والهاء في «تَقْلُهْ «للسكت بعد حذف العائد، أعنى أن أصله أخبُر الناس تَقلُهم...

قال أبو عبيد: جاءنا الحديث عن أبى الدرداء الأنصارى رضى الله عنه قال: أحرج الكلام على لفظ الأمر ومعناه الخبر، يريد أنك إذا خَبَرتَهم قَليتَهم.

يُضرب في ذم الناس وسوء معاشرتهم (٤٢٥/٣).

انظر الحديث فيما تقدم تحت (ب) «الناس في السنة المشرفة» رقم ٢٨٣.

٤٣٧٠- «وجدت الناسَ إن قارضتهم قارضوك». هذا من كلام أبى الدرداء رضى الله عنه وتمامه **«وإن تركتهم لم يتركوك»**.

المقارضة: يجوز أن تكون من القرض الذى هو الدَّيْن، جُعل استعارة للأفعال المقتضية للمجازاة، أى إن أحسنت إليهم أحسنوا إليك، وإن أسأت فكذلك، ومعنى قوله «وإن تركتهم لم يتركوك». أى أن عودتهم الإحسان ثم فَطَمْتَهم «لم يتركوك»، يعنى أنهم يلحُون حتى تعود إليهم بالإحسان، ويجوز أن تكون المقارضة من القرض الذى هو القطع، أى إن نلت من أعراضهم نالوا من عرضك، وإن تركنهم فلم تنل منهم نالوا منك أيضًا لسوء دخلتهم وخبث طباعهم، وسُمِّى الفعل من العرض قطعًا لأنه سبب القطع، والمثل في الجملة ذم لسوء معاشرة الناس ونهى عن مخالطتهم، وينشد في هذا المعنى:

وما أنت إلا ظالم وابن ظالم　　لأنك من أولاد حوًا وآدم

فإن كنت مثل النَّصْل ألفيت قائلًا　　ألا ما لهذا النصل ليس بصارم

وإن كنت مثل القدْح ألفيت قائلاً　　ألا ما لهذا القدح ليس بقائم

(٤٣٠/٣) [٨]

---

(٨) **مجمع الأمثال لأبى الفضل أحمد بن إبراهيم الميدانى تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١٣٢/١، ٣٦٩، و ١٧٠/٢، ١٧١، ٥٠٢، و ١٤٥/٣، ٢٦٣، ٢٠٤، ٢٢٧، ٢٧٣، ٢٨٤، ٢٩٤، ٢٩٥، ٤٢٥، ٤٣٠.**

(د) الناس فى الشعر: وهو قسمان:

(أ) الشعر الذى نسب إلى شاعر بعينه.

(ب) الشعر الذى نسب لشاعر مجهول.

وأشير إليه بعبارة «قال الشاعر»، أو «قال بعضهم» وما شابه ذلك.

(د) (أ) الشعر الذى نُسب إلى شاعر بعينه:

لا يفتأ الشعراء يضمّنون شعرهم أبياتًا يعددون فيها أصناف الناس. ويصفون طبائعهم وسلوكهم، ويحثون على الحذر منهم وعلى الحرص في التعامل معهم، وعلى مداراتهم لكى يتقوا شرهم.

والشعراء في خلال ذلك يتناولون قضية مَا يمكن أن يسمى الناس والزمان، ويعنى به تغير أخلاق الناس وطباعهم وسلوكهم من زمان إلى زمان.

والشعر في هذا كله لا يخرج عما ورد في سائر المصادر، وهو ما يتضح من النماذج التى نسوقها فيما يلى.

وقد رتبنا هذه النماذج ترتيبًا هجائيًّا وفقًا لأسماء الشعراء (أو من ليسوا شعراء مثل الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه والإمام الشافعى رضى الله عنه). أما الأبيات التى لم يُسمَّ فيها اسم الشاعر. فقد أوردناها في آخر القائمة.

القسم الأول

الشعر الذى نسب إلى شاعر بعينه

(الألف)

(د) (أ) ١- أحمد بن يوسف الغرناطى:

لا تُعادِ الناس فى أوطانهم ... قلما يُرْعَى غريبُ الوطن

وإذا ما رُمْتَ عيشا بينهم ... خالقِ الناسَ بخلْق حَسَن

(معجم الأبيات الشهيرة لحسن نمر دندشى/٢٤٢).

(د) (أ) ٢- الأفوه الأزدى، واسمه صلاءة بن عمرو، و «الأفوه» لقب له.

(د) (أ) ٢- ١- أنشد عبد الله بن الزبير ثلاثة أبيات جامعة لكل ما قالته العرب، وهى للأفوه الأزدى، حيث يقول:

بلوتُ الناس قرنًا بعد قَرْنٍ ... فلم أرَ غير ختَّالٍ وقالى

وذُقت مرارة الأشياء جمعًا ... فما طعْمٌ أمرُّ من السؤالِ

ولم أرَ فى الخطوب أشدَّ هوْلاً ... وأصعبَ من مُعاداةِ الرِّجَالِ

(أدب الدنيا والدين ط وزارة المعارف العمومية/١٥٩، ١٦٠، وط الدار المصرية اللبنانية/٢٢٣)

وقال أيضًا وهو من الحكم والأمثال:

(د) (أ) ٢- ٢-

والبيت لا يُبنَى إلا له عمدٌ ... ولا عمادٌ إذا لم تُرْسَ أوتادُ

فإن تَجَمَّعَ أوتادٌ وأعمدة ... وساكنٌ بلغوا الأمر الذى كادوا

لا يصلح الناس فوضَى لاسراةَ لهم ... ولاسراةَ إذا جُهَّالهم سادوا

تبقى الأمور بأهل الرأى ما صلحتْ ... فإن تولت فبالأشرار تنقاد

(الوسيط في الأدب العربى وتاريخه للشيخ أحمد الإسكندرى، والشيخ مصطفى عنانى/٥٨). وقد وردت الأبيات ١ و ٣ و ٤ فقط في «معجم الأبيات الشهيرة ص ٦٩، وأول البيت الأخير بلفظ «تُهدى» بدلًا من «تبقى».

(الباء)

(د) (أ) ٣- البائع الأعور الدمشقى:

قال ابن المعتز: قرأت بخط أبى سعد السمعانى من تاريخه المزيّل، للبائع الدمشقى في ذم الخُلطة:

تعجبنى الوحدة حتى لقد ... يعجبنى من أجلها لحْدي
فَلَيْتنى إن كنتُ في جَنَّةٍ ... أو في لظًى، كنت بها وحدي
كيلا أرى كلَّ أخى فعلةٍ ... مُستفحلٍ مُسْتكلبٍ وغْدِ

(خريدة القصر وجريدة أهل العصر لعماد الدين أبى عبد الله محمد بن محمد الكاتب الأصبهانى ١/٢٧٢).

(د) (أ) ٤- بشار بن بُرْد، قال:

(د) (أ) ٤- ١-

من راقب الناس لم يظفر بحاجته ... وفاز بالطيبات الفاتك اللَّهِجُ

ولما قال بشار بيته هذا أخذ سَلْم الخاسر هذا المعنى، وجاء به في أجود ألفاظه وأفصح وأوجز فقال:

من راقب الناس مات غمًّا ... وفاز باللذة الجسورُ

(طبقات الشعراء لابن المعتز/٩٩، ١٠٠).

وقال في أصناف الناس:

(د) (أ) ٤- ٢-

وما النـاسُ إلا صاحبـاك فمنهُم ... سخيٌّ ومغلول اليدين من البُخْل

فسامِحْ يـدًا ما أمكنتـك فإنهـا ... تقِلُّ وتُثْرِى والعـواذِلُ فـى شُغْـلِ

(أدب الدنيا والدين/٢٣٣).

(د) (أ) ٤- ٣-

وقال عن نفاق الناس:

أنْـتَ فى معْشَرٍ إذا غِبْتَ عنهم ... بَـدَّلـوا كُـلَّ مـا يـزيـنُـكَ شَيْـنَـا

وإذا مـا رأوك قـالـوا جميعًا ... أنـت مـن أكـرم الـبـرايـا علينا

مـا أرى للأنــام وُدًّا صحيحـا ... صار كل الـوداد زورًا ومَيْنـا

(الشيْن بفتح الشين: الشئ السيئ، وضدها «الزَّيْن» والمَين: بفتح الميم: الكذب والغش) (معجم الأبيات الشهيرة/ ٢٣٠).

(د) (أ) ٥- أبو بكر الدانى:

قال عن الدنيا وعن الناس:

انْفُضْ يـديك من الدنيـا وساكنهـا ... فالأرض قد أقْفَرتْ، والنـاس قد ماتـوا

(معجم الأبيات الشهيرة/٤٦).

(د) (أ) ٦- البهاء زهير:

يذكر البهاء زهير «الناس «فى مواضع عدة من ديوانه: أوصافهم، وطبائعهم، ويشير إلى الحاجة إليهم رغم شرورهم، وهو ما يتضح من النماذج التالية:

(د) (أ) ٦- ١- قال عن نفاقهم، من مجزوء الوافر قافية المتراكب (ص ٤٠):

أرى قـومًـا بُـلـيـت بهـمْ ... نـصـيـبى مـنـهُـمُ نـصَـبِـي

فـمـنـهـم مـن يـنـافـقُـني ... فـيـحـلـف لى ويـكـذب بي

ويـلـزمـنى بتصـديق الـ ... ـذى قـد قـال مـنْ كـذِبِ

(د) (أ) ٦- ٢- وعن الحاجة إلى الناس، وهى شر لا بد منه، قال من ثالث السريع قافية المتواتر (ص ١٤١):

مـا أصْـعَـبَ الحـاجـةَ لـلـنـاسِ	فـالـغـنـم مـنـهـم راحـة الـيـاسِ
لم يـبـق ـِ الـنـاس مُـواسٍ لمن	يُـظـهـر شـكـواه ولا آسِ
وبـعـد ذا مـالك عنهـمْ غِنًى	لابـدَّ للنـاس مـن النـاسِ

(د) (أ) ٦- ٣- وعن أن أسعد الناس من لا يعرف الناس قال من ثانى البسيط قافية المتواتر (ص ١٤١):

قَـلَّ الـثِّـقـاتُ فـلا تـركـنْ إلى أحَـد	فأسعد الناسِ من لا يعرف الناسَا
لم ألق لـى صـاحبا فـى الله أصْحَبهُ	وقـد رأيـتُ وقـد جـرَّبتُ أجناسـا

(د) (أ) ٦- ٤- وقال من الطويل قافية المتواتر (ص ١٤٢):

قصدتُكمُ أرجو انتصارًا على العِدَا	حسبتكمُ نـاسًـا فمـا كنـتـمُ ناسًا
فلم تمنعوا جارًا، ولم تمنعوا أخا	ولم تدفعوا ضَيْما، ولم ترفعوا راسا

(د) (أ) ٦- ٥- وقال عن معاشرة الناس مع العُرف، من ثالث الطويل قافية المتدارك (ص ١٤٩):

أحـبـابَـنـا حـاشـاكُـم مـن عـيـادةٍ	فـذلك وهـنٌ ـِ القـلوب مضيضُ
ومـا عـاقـنـى عـنـكـمْ سـوى عـائق	ففى السبت قالوا ما يُعَادُ مَريضُ
فَـلاَ تُـنْـكـرُوا منِّـى أمـورًا تغيرتْ	فقد خُضْتُ فما الناس فيه تخوضُ
وعـاشـرتُ أقـوامًـا تـعـوَّضْتُ عنهمُ	أوطِّـنُ أخْـلاقِـى لهـم وأروضُ
ولـلـنـاس عــاداتٌ وقـد ألِـفُـوا بها	لهـا سُـنَـنٌ يَـرْعَـوْنَـهـا وفـروضُ
فمنْ لم يـعاشرْهُمْ على العُرْف بَيْنَهُمْ	فـذاك ثقيـلٌ بينهـمْ وبَغِيـضُ

(د) (أ) ٦- ٦- وقال من قصيدة يمدح الصاحب صفى الدين أبا محمد عبد الله بن عليٍّ المعروف بابن شكر (من ثانى الطويل قافية المتدارك) «ص: ١٧٩»:

على أنها الأيام مهما تداولتْ ... سرورٌ تقضى أو جديدٌ تمزَّقا
فلست ترى خِلاً من الغدر سالمًا ... ولا تقتنى يومًا صديقًا فيصدُقا
إذا نِلْتَ منه الودَّ كان تكلفًا ... وإن نِلتَ منه البشر كان تَملُّقا

(د) (أ) ٦- ٧- وعمّن يتظاهرون بالزهد زيفًا، قال من الرمل قافية المتواتر (ص ٢٤٧):

كم أناسٍ أظهروا الزُّهْدَ لنا ... فتجافَوْا عن حلالٍ وحرامِ
قلَّلوا الأكْل وأبدَوْا وَرَعًا ... واجتهادًا في صيامٍ وقيامِ
ثم لما أمكنتْهم فرصةٌ ... أَكَلوا أكْلَ الحَزَانَى في الظلامِ

(ديوان البهاء زهير شرح وتحقيق محمد طاهر الجبلاوى، ومحمد أبى الفضل إبراهيم/٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٩، ١٧٩، ٢٤٧، ٢٤٩).

(التاء)

(د) (أ) ٧- قال عن أصناف الناس:

من الناس ميْتٌ وهو حيٌّ بذكره ... وحيٌّ سليم وهو في الناس ميِّتُ

انظر البيت لشوقى تحت رقم (د) ٢-٢٤-٢. [كذا]

(الجيم)

(د) (أ) ٨- **الجرجانى** (القاضى على بن عبد العزيز، صاحب كتاب «الوساطة بين المتنبى وخصومه» قال يمدح الوحدة ويذم مخالطة الناس:

ما تطعَّمتُ لذَّة العينِ حتى ... صِرْتُ للبيت والكتابِ جليسا
ليس شىء أعزُّ عندى من العلـ ... ـم، فما أبتغى سواه أنيسا
إنما الذُّلُّ في مخالطة النَّا ... س فدعهم وعِش عزيزًا رئيسا

(المنتخب من أدب العرب لأحمد الإسكندرى وزملائه وزارة المعارف العمومية ١٩٥٢، ٢/٢٣. انظر أيضًا اللطائف والطرائف للثعالبى/١٢٥. وتحسين القبيح وتقبيح الحسن للثعالبى أيضًا/٥٠ وفيهما اختلاف في الألفاظ).

(د) (أ) ٩- جعفر بن هبة الله الكفرعزّى:

مما يجب أن يحفظ من شعره قوله:

لا تَشْكُ فالناس في الرزايا	**ثلاثة ثم لا مزيدُ**
إما صديقٌ يغار غمًّا	**أو شامتٌ كاشحٌ حَسُود**
أو غافلٌ عنكَ مستريح	**إليه شكواك لا تفيدُ**
ومن يسليك أو يُواسي	**لم يُبْدِ شخصًا له الوجودُ**
إلا أحاديثَ لفّقُوها	**يصغى لها الجاهل البليدُ**

(الغصون اليانعة لأبى الحسن على بن موسى الأندلسى بتحقيق إبراهيم الإبيارى/٨٠).

(الحاء)

(د) (أ) ١٠- حاتم الطائى:

قال في ذم الوحدة، وهو ما يُتمثل به:

إذا لزم الناسُ البيوت رأيتَهُم	**عُماةً عن الأخبار خُرقَ المكاسبِ**

(اللطائف والظرائف للثعالبى/١٢٧).

(د) (أ) ١١- الحافظ الحُمَيْدى:

قال في الحث على الإقلال من لقاء الناس:

لقاء الناس ليس يفيدُ شيئًا	**سوى الهذيان من قيلٍ وقالِ**
فأقلل من لقاء الناس، إلا	**لأخذ العلم، أو إصلاح حالِ**

(معجم الأبيات الشهيرة لحسن نمر دندشى/١٨٦).

(د) (أ) ١٢- حبيب الطائى:

من أصناف الناس المختال السمج، الذى يصفه حبيب الطائى بقوله:

يا من تبرَّمت الدنيا بطلعته   كما تبرمت الأجفانُ بالرَّمدِ
يمشى على الأرض مختالًا فأحسبهُ   لبغْض طلعته يمشى على كبدي!
لو أن في الأرض جزءًا من سماجَته   لم يُقْدِم الموتُ إشفاقا على أحَدِ

(العقد الفريد تأليف الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى بتحقيق محمد سعيد العريان ٢/١٣٧).

(د) (أ) ١٣- حمّاد عَجْرَد:

وعن أصناف الناس وطبائعهم قال حمّاد عَجْرَد:

كم من أخٍ لك ليس تنكرُهُ   ما دمتَ في دُنْيَاكَ في يُسرِ
متصنِّعٌ لك في مودَّته   يلقاك بالترحيب والبِشرِ
فإذا عَدَا والدَّهرُ ذو عبرٍ   دَهْرٌ عليك عدا مع الدَّهْرِ
فارفض بإجمال مودة مَنْ   يَقْلى المقلَّ ويعشقُ المثري
وعليك من حالاهُ واحدةٌ   في العُسْرِ إمَّا كنتَ واليُسرِ

(أدب الدنيا والدين للماوردى ط. وزارة المعارف العمومية/١٤٣، وط. الدار المصرية اللبنانية/٢٠٤، ٢٠٥).

(د) (أ) ١٤- حمْد بن محمد الخطابى:

وعن وجوب مداراة الناس قال حمْد بن محمد الخطابى:

ما دُمْتَ حيًّا فدارِ الناس كلَّهمُ   فإنما أنت في دار المداراة

(معجم الأبيات الشهيرة/٤٩).

(الخاء)

(د) (أ) ١٥- ابن أبى خازم:

قال عن حرص الناس وبخلهم:

وقالوا لو مدحت فتًى كريمًا	**فَقُلْتُ وأين لى بفتًى كريم ؟**
بلوْتُ ومرَّ بى خمسون عامًا	**وحَسبُكَ بالمجرِّبِ من عليمِ**
فلا أحَدٌ يُعَدُّ ليوم خيْرٍ	**ولا أحدٌ يعولُ على قديمِ**

(العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسى بتحقيق محمد سعيد العريان ٢١٨/٧).

(د) (أ) ١٦- الخليل بن أحمد:

قال الماوردى: حكى عن الأحنف بن قيس أنه قال: ما عادانى أحد قط إلا أخذت في أمره بإحدى ثلاث خصال: إن كان أعلى منّى عرفت له قدره، وإن كان دونى رفعت قدرى عنه، وإن كان نظيرى تفضّلت عليه. فأخذه الخليل، فنظمه شعرًا فقال: يصنّف الناس ويبيّن كيفية التعامل مع كل صنف منهم:

سألزمُ نفسى الصفح عن كل مُذنب	**وإن كثرت منه إلىّ الجرائم**
فما الناس إلا واحدٌ من ثلاثةٍ	**شريفٌ ومشروفٌ ومِثْل مقاومُ**
فأما الذى فوقى فأعرف قَدرَهُ	**وأتّبع فيه الحقَّ والحقُّ لازمُ**
وأما الذى دونى فأحلم دائبًا	**أصون به عرضى وإن لامَ لائمُ**
وأما الذى مِثلى فإن زلَّ أو هفا	**تفضلتُ إن الفَضْلَ بالفخْرِ حاكمُ**

(أدب الدنيا والدين للماوردى، ط. وزارة المعارف العمومية. الطبعة السادسة عشرة ١٣٤٣ هـ. ١٩٢٥ م/٢٢٧، وط. الدار المصرية اللبنانية حققه وعلق عليه ووضع فهارسه محمد فتحى أبو بكر. الطبعة الثانية ١٤١١ هـ ١٩٩١ م/٣٠٦).

(الدال)

(د) (أ) ١٧- ابن دُرَيْد الأزدى:

قال عن أصناف الناس، في قصيدته المشهورة بالمقصورة:

والناس كالنبت فمنه رائق ... غضٌّ نضيرٌ عودهُ مُرُّ الجنَى

ومنه ما تقتحم العين، فإن ... ذقت جناه انساغ عذبًا في اللَّها

والناس ألفٌ منهم كواحدٍ ... وواحِدٌ كالألْفِ إن أمْرٌ عنا

(معجم الأبيات الشهيرة/٢٠).

(د) (أ) ١٨- دعبل الخزاعى:

(د) (أ) ١٨- ١- قال عن أصناف الناس، من قصيدة في آل بيت الرسول:

وما الناسُ إلا حاسِدٌ ومكذِّبٌ ... ومُضطغِنٌ ذو إحنةٍ وتِراتِ

المعنى: مضطغن: حاقد.

الإحنة: العداوة والحقد.

والترات جمع ترة: الثأر.

(المنتخب من أدب العرب لأحمد الإسكندرى وزملائه وزارة المعارف العمومية ١٩٣٤، ٢٤٠/٢).

(د) (أ) ١٨- ٢- وقال عن الناس أيضًا:

ما أكْثَرَ الناس، لا بل ما أقلَّهُمُ ... اللهُ يعلمُ أنى لم أقل فَنَدا

إنى لأفتحُ عينى حين أفتحُها ... على كثيرٍ ولكنْ لا أرى أَحَدَا

(العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسى بتحقيق محمد سعيد العريان ١٣٤/٢، ومعجم الأبيات الشهيرة/٦٦).

(الراء)

(د) (أ) ١٩- ابن رشيق القيرواني

قال في أصناف الناس:

في الناس من لا يُرتَجَى نفعهُ إلا إذا مُسَّ بإضرار
كالعودِ لا تطمعُ في طيبه إنْ أنت لم تمْسَسْهُ بالنَّار

(المنتخب من أدب العرب جمعه وشرحه طه حسين وزملاؤه ٢/٤٢٨).

وقد ورد البيت الثاني في معجم الأبيات الشهيرة على النحو التالي، دون ذكر اسم الشاعر:

كالعودِ لا يُطمَعُ في ريحهِ إلا إذا أُحرِقَ بالنَّار

(معجم الأبيات الشهيرة لحسن نمر دندشي/١١٤).

(د) (أ) ٢٠- ابن الرومي.

قال في طبائع الناس:

واعلم بأن الناسَ من طينةٍ يصدُقُ في الثَّلْبِ لها الثالبُ
لولا علاجُ الناس أخلاقَهُمْ إذنْ لفاح الحمأُ اللاَّزِبُ

(أدب الدنيا والدين للماوردي ط. وزارة المعارف ١٣٤٣ هـ ١٩٢٥ م/١٤٢، والدار المصرية اللبنانية، الطبعة الثانية ١٤١١ هـ ١٩٩١ م/٢٠٣).

(السِّين)

(د) (أ) ٢١- سَلْم الخاسر:

قال في الحث على عدم مراقبة الناس وعمل حساب لهم:

من راقب الناسَ ماتَ هَمًّا وفاز باللذةِ الجَسُورُ

(معجم الأبيات الشهيرة/١٠٩).

(د) (أ) ٢٢- أبو سليمان الخطابى.

(د) (أ) ٢٢- ١- قال في مدح العزلة عن الناس:

قد أولع الناسُ بالتلاقى — والمرء صَبٌّ إلى مُناهُ
وإنما منهم صديقي — من لا يرانى ولا أراهُ

وله أيضًا:

(د) (أ) ٢٢- ٢-

إذا خلوتُ صفا ذهنى وعارضني — خواطرٌ كطراز البرق في الظُّلم
فإن توالى صياحُ الناعقين على — أُذنى عرتنى منهُ حُلكةُ العجمِ

(اللطائف والظرائف للثعالبى/١٢٦).

(د) (أ) ٢٣- سهم بن حنظلة:

قال عن أصناف الناس:

من إن رآك غنيًّا لانَ جانِبُهُ — وإن رآك فقيرًا ناءَ فاغْتَرَبَا

ورواه الأصمعى على النحو التالى:

إذا افتقرْتَ نأى واشتَدَّ جانبُهُ — وإنْ رآك غنيًّا لانَ واقْتَربا

(لسان العرب لابن منظور ط. دار المعارف ١٩٧٩ م/ ٤٥٩٠، مادة «نأى»).

(د) (أ) ٢٤- السيد أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن:

وعن أصناف الناس وطبائعهم ما أورده صاحب الغصون اليانعة عن السيد أبى الربيع حيث قال: وأذكر أنه شفع له في شخص مليح الكلام فولاَّهُ وأحسن إليه: فأتى بالقبائح. فذكر أمره وأنا حاضر، ثم قال فيه:

كم من شريف القول قد غَرَّني — بقولِه والفعلُ منه وضيعْ
ولم أكنْ أغلط في مِثله — لكن رمتنى ثِقتى بالشفيعْ

(الغصون اليانعة لأبى الحسن على بن موسى الأندلسى بتحقيق إبراهيم الإبيارى/١٣٣).

(د) (أ) ٢٥- سيف الدين الآمدى:

قال عن طبائع الناس:

حَسَدُوا الفتى إذ لم ينالوا سَعْيَهُ ... فالقوم أعداءٌ له وخُصومُ

(معجم الأبيات الشهيرة/٢١١).

(الشّين)

(د) (أ) ٢٦- الشافعى رضى الله عنه

قال الإمام الشافعى في كيفية التعامل مع الناس لاتقاء شرهم:

(د) (أ) ٢٦- ١-

إذا شئت أن تحيا سليمًا من الأذى ... وذنبُك مغفورٌ وعرضُك صَيّنُ

لسانكَ لا تذكر به عورة امرئٍ ... فكُلُّكَ عَوراتٌ، وللناسِ ألسُنُ

وعينُك إن أَبْدتْ إليك مساوئًا ... فصُنها، وقل: يا عيْنُ، للناس أعْيُنُ

وعاشِر بمعروف، وسامحْ من اعتدى ... وفارِق، ولكنْ بالتى هى أحسنُ

(معجم الأبيات الشهيرة/٢٣٤).

وقال أيضًا رضى الله عنه، أنشده الربيع للماوردى:

(د) (أ) ٢٦- ٢-

لمَّا عفوتُ ولم أحْقِدْ على أَحدٍ ... أرحْتُ نفسى من همّ العَداوات

إنّي أُحيِّي عَدوِّى عند رؤيتهِ ... لأدفعَ الشَّرَّ عَني بالتَّحيَّاتِ

وأُظهِرُ البِشْرَ للإنسان أُبْغِضُهُ ... كأنمَّا قد حَشَا قَلْبى محبَّاتِ

النَاسُ داءٌ دَواءُ الناس قُربُهُم ... وفي اعتزالِهِمُ قطعُ المودَّاتِ

(أدب الدنيا والدين للماوردى حققه وعلق عليه ووضع فهارسه محمد فتحى أبو بكر الدار المصرية اللبنانية/٢٢٣).

وقد ورد في المعجم بعد البيتين الأول والثانى البيت التالى:

وأحْــزَمُ الـنـاس مَـنْ يلْقى أعـاديَـهُ ــ في جسم حِقْدٍ وثَـوْبٍ من مـودّاتِ

(معجم الأبيات الشهيرة لحسن نمر دندشى/٤٨).

(د) (أ) ٢٧- ابن شرف القيرواني:

ويلاحظ أنه يشوب شعره مزاج من البديع وخاصة الجناس.

(د) (أ) ٢٧- ١- قوله في مداراة الناس:

إن تـدعُـكَ الـغُـربـةُ في مَعشَر ــ قـد جُـبِـل الـطـبـعُ عـلـى بُغْضِهِمْ

فـدارِهِـمْ مـا دُمـتَ في داراهِـمْ ــ وأرْضِـهِـمْ مـا دمـتَ في أرضِـهِـمْ

(المنتخب من أدب العرب ٢/٤٢٩).

(د) (أ) ٢٧- ٢- وقوله في التحذير من أصناف الناس:

احـذر محاسنَ أوْجُـهٍ فقدتْ محا ــ ـسنَ أَنْـفُـسٍ، ولـونهـا أقـمـارُ

سُـرُجٌ تـلـوحُ إذا نـظـرت فإنها ــ نـورٌ يـضـيء وإن مَـسَـسْـتَ فـنـارُ

(المنتخب من أدب العرب ٢/٤٢٩).

(د) (أ) ٢٧- ٣- وقوله في طريقة التعامل مع الناس:

لا تسأل الناسَ والأيـامَ عن خَبَرٍ ــ همـا يـبُـثّـانِـكَ الأخـبـارَ تَطفيلا

ولا تعاتبْ على نَقْصِ الطباعِ أخًا ــ فـإنَّ بَـدْرَ السَّما لم يُـعْـطَ تكميلا

لا يُـؤيِـسَـنَّـكَ مـن أمْـرٍ تَـصَـعُّـبُـهُ ــ فاللهُ قد يُعْقِب التَّصعيبَ تسهيلا

بِعْ مَن جفاكَ ولا تبخلْ بسلْعتِهِ ــ واطـلـبْ بـه بَـدَلًا إن رامَ تبديلا

وصيِّر الأرض دارًا والـوَرَى رجلًا ــ حتى تُرى مُقْبِلًا في الناسِ مَقْبُولا

(المنتخب من أدب العرب ٢/٤٢٩).

وقوله:

(د) (أ) ٢٧- ٤-

يا شاويًا في مَعْشَر قد اصطلى بنارِهمْ
إنْ تَنْبُكَ من شَرارهم على يديْ شِرارِهمْ
أو تُرْمَ من أحجارِهم وأنتَ في أحْجارِهِمْ
وأرضهم في أرضهم ودارِهم في دارِهمْ

(المنتخب ٢ /٤٣٠ المنتخب من أدب العرب جمعه وشرحه طه حسين وزملاؤه وزارة المعارف العمومية ١٩٣٤، ٢/٤٢٩، ٤٣٠).

(د) (أ) ٢٨- شوقي:

قال أمير الشعراء أحمد شوقي من طبائع الناس:

(د) (أ) ٢٨- ١-

لؤم الحياة مشى في الناس قاطبةً كما مشى آدمٌ فيهم وحوَّاءُ

(معجم الأبيات الشهيرة/١٤).

وقال في أصناف الناس:

(د) (أ) ٢٨- ٢-

الناسُ صنفانِ: موتى في حياتهمُ وآخرون ببطن الأرض أحياءُ

(معجم الأبيات الشهيرة/١٥) انظر البيت لأبى تمام تحت رقم (د) ٢-٤.

وقال عن فقدان الوفاء عند الناس:

(د) (أ) ٢٨- ٣-

أنا مَن بدَّل بالكُتْبِ الصحابا لم أجِدْ لى وافيًا إلا الكتابَا

(معجم الأبيات الشهيرة/٢٢، والشوقيات لأمير الشعراء أحمد شوقى مكتبة مصر القاهرة ١٩٩٣ م، ٢/١٨).

(الصاد)

(د) (أ) ٢٩- صالح بن عبد القدوس:

قال عن قلة عقول معظم الناس:

(د) (أ) ٢٩- ١-

لو يُرْزَقون الناس حَسْبَ عُقولهم ... ألفيتَ أكثر من ترى، يتصدَّقُ

وجاء في هامش (١) هذا التعليق: الواو في «يُرزقون» حرف يدل على الجماعة وليست ضميرًا، والناس فاعل «يرزَقون».

(معجم الأبيات الشهيرة/١٥٨).

ولصالح بن عبد القدوس من قصيدته المعروفة بالزينبية، وقد ضمنها الكثير من النصائح عن كيفية التعامل مع الناس والحذر منهم، ونسوق بعضًا من أبياتها فيما يلي:

(د) (أ) ٢٩- ٢-

وَابْدأْ عَدُوَّكَ بالتحيَّةِ ولْتَكُنْ ... مِنْهُ زمانَكَ خائفًا تترقَّبُ

واحْذَرْهُ إنْ لاقَيْتَهُ مُتَبَسِّمًا ... فاللَّيْثُ يَبْدُو نابُهُ إذْ يغضبُ

إنَّ العَدوَّ وإنْ تقادَمَ عَهْدُهُ ... فالحِقد باقٍ في الصُّدور مُغيَّبُ

وإذا الصَّديقُ لقيتَهُ مُتَمَلِّقًا ... فَهْوَ العدُوُّ وحقه يُتَجَنَّبُ

لا خَيْرَ في ودِّ امْرِئٍ مُتملِّقٍ ... حلو اللسان وقلْبُهُ يتلهبُ

يلقاك يحلف أنهُ بك واثقٌ ... وإذا توارى عَنْكَ فهو العقربُ

يُعطيك من طرف اللسانِ حلاوةً ... ويروغُ مِنْكَ كما يروغُ الثَّعْلَبُ

ودع الكَذُوبَ فلا يَكُنْ لك صاحبًا ... إنَّ الكذُوبَ يشينُ حُرًّا يصْحَبُ

واحذَرْ مُصاحبةَ اللَّئيمِ فإنهُ ... يُعْدِى كما يعدى الصحيحَ الأجْرَبُ

واحـذر مـن المظلـوم سَهْمًا صائبًا	واعـلـمْ بـأنَّ دُعـاهُ لا يُـحْجَـبُ
ولقدْ نصحْتُكَ إنْ قبلْتَ نصيحتي	والنُّصْحُ أغلـى مـا يُـباعُ ويُـوهَـبُ

(مجموعة من النظم والنثر للحفظ والتسميع تأليف الشيخ محمد شريف سليم/٤٨ ٥١).

(د) (أ) ٣٠- صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي:

قال في الحكم من لاميته، ويذكر في الأبيات ٤-٦ أصناف الناس وكيفية التعامل معهم:

الجَدُّ في الجِدّ والحرمانُ في الكَسَلِ	فانْصَب تُصب عن قريب غاية الأمَلِ
واصبر على كلّ ما يأتي الزمانُ بهِ	صَبْرَ الحُسام بكفّ الدَّارع البَطَلِ
واستشعِر الحلمَ في كل الأمور ولاَ	تُسْرع ببادرةٍ يومًا إلى رَجُلِ
وإن بُليتَ بشخصٍ لا خلاق لهُ	فكُن كأنَّكَ لم تسمَعْ ولم يَقُلِ
ولا يغرنْكَ من تبدو بشاشتهُ	منهُ إليكَ فإن السُّمَّ في العسلِ
وإن أردتَ نجاحًا أو بلوغَ مُنى	فاكتُم أمورَكَ عن حافٍ ومُنتَعِلِ

(مجموعة من النظم والنثر للحفظ والتسميع/٦).

هذا وقد وردت الأبيات ١ و ٥، ٦ فقط في معجم الأبيات الشهيرة لحسن نمر دندشي ص ١٩١، وجاء البيت الخامس بلفظ «ولا يغرَّك من يُبدي بشَاشَتَهُ» وصدر البيت السادس بلفظ «كل آونة» بدلًا من «أو بلوغ منى».

(الطاء)

(د) (أ) ٣١- طرفة بن العبد:

قال عن المخادعين من الناس:

كُـلُّ خـليـلٍ كـنـتُ خـاللـتُـهُ	لا تـرك الله لـه واضـحـهْ
كـلـهـم أروغُ مـن ثـعـلـب	مـا أشبـه الـليـلـة بـالبـارحـهْ

الواضحة: الأسنان تبدو عند الضحك.

راغ الثعلب: ذهب يمنةً ويسرةً في سرعة للخديعة فهو لا يستقر في جهة.

(الوسيط في الأدب العربي وتاريخه للشيخ أحمد الإسكندرى والشيخ مصطفى عنانى).

انظر أيضًا: المفصل في الأدب العربي ط. مكتبة الآداب ٢٠٠٥/٦٣.

(د) (أ) ٣٢- الطغرائى (مؤيد الدين أبو إسماعيل الحسين بن محمد)

من شعره لامية العجم المعتبرة من عيون الشعر، وقد كان قالها ببغداد سنة ٥٠٥ هـ يشكو فيها الزمان وأهله. وهى مشهورة مشروحة بشروح كبار وصغار أكثرها مطبوع، ومطلعها:

(د) (أ) ٣٢- ١-

أصالة الرأى صانتنى عن الخطل ... وحلية الفضل زانتنى لدى العطل

(الوسيط في الأدب العربي وتاريخه/٢٨٣)

ومنها تحذيره من الناس وشرورهم والنهى عن التعويل عليهم فقال:

أعدى عدوك أدنى مَنْ وثقت بهِ ... فحاذرِ النَّاسَ وأصحبْهُمْ على دَخَلِ
فإنما رجُلُ الدُّنيا وواحدُها ... مَنْ لا يُعَوِّلُ في الدنيا على رجُلِ

(بدائع الزهور في وقائع الدهور لمحمد بن أحمد بن إياس الحنفى المصرى كتاب الشعب ٩٣ مطابع الشعب ١٩٦٠ م ٢٩٩/٣، ولم يذكر أنها للطغرائى وإنما قال: كما قال بعضهم. انظر أيضًا معجم الأبيات الشهيرة/١٩٠. وقد أورد البيت الأول فقط).

(د) (أ) ٣٢- ٢-

وله في الأعداء والحُسّاد وكيفية التعامل معهم:

جامل عدوَّكَ ما استطعتَ فإنه ... بالرِّفقِ يُطمعُ في صلاح الفاسدِ
واحذر حسودكَ ما استطعت فإنه ... إن نِمْتَ عنه فليس عنك براقدِ
إن الحسودَ وإن أراكَ تودُّدًا ... منه أضرُّ من العدوِّ الحاقدِ

ولـربمـا رضـيَ الـعـدُوُّ إذا رأى ... منـكَ الجميلَ فصار غير مُعانِدِ
ورضا الحسودِ زوال نعمتك التي ... أُوتـيـتـهـا مـن طـارفٍ أو تـالـدِ
فاصبر على غيظ الحسود فنارُهُ ... تـرمـى حَـشـاهُ بـالـعـذاب الخـالـدِ
أو مـا رأيـتَ الـنـارَ تـأكـل نفسها ... حـتى تـعـودَ إلى الـرمـاد الهـامـدِ
تضفو على المحسود نعمةُ ربِّهِ ... ويـذوبُ مـن كـمـدٍ فـؤادُ الحـاسـدِ

(المنتخب من أدب العرب لأحمد الإسكندرى وزملائه وزارة المعارف العمومية المطبعة الأميرية بالقاهرة. ١٩٥٢، ٢/١٧).

وأضاف معجم الأبيات الشهيرة ص ٧٨:

جـامِـل أخـاك إذا اسـتـربـت بـودهِ ... وانـظـر بـه عَـقِـبَ الـزمـان العائد
فـإن اسـتـمـرَّ بـه الـفـسـاد فخلّه ... فالعضو يُـقـطَـع للـفـسـادِ الـزائـدِ

(٤)

(د) (أ) ٣٣-

العباس بن الأحنف. قال في وجوب إساءة الظن بالناس:

أسـأتُ إذ أحـسـنـتُ الـظـن بكم ... والحَـزْمُ سـوء الـظـنّ بـالـنـاسِ

(معجم الأبيات الشهيرة لحسن نمر دندشى/١٢٨).

(د) (أ) ٣٤- عباس بن مرداس:

قال في أصناف الناس، محذّرًا من الحكم عليهم وفقًا لمظهرهم:

تـرى الـرجـلَ النحيفَ فَـتَـزْدَريـه ... وفي أثـوابـه أسـدٌ مَـزيـرُ
ويـعـجـبـك الـطـريـر فـتـبـتـلـيـه ... فيخلِفُ ظـنَّـكَ الـرجُـلُ الطريرُ
فـمـا عـظـمَ الـرجـال لهـم بفخرٍ ... ولـكـن فـخـرهـم كـرمٌ وخـيـرُ
بُـغـاثُ الـطـير أكـثـرهـا فـراخًـا ... وأمُّ الـصَّـقْـر مِـقْـلاةٌ نـذور

ضعاف الطير أطولها جسومًا ... ولم تَطُل البُزاةُ ولا الصقورُ
لقد عَظُمَ البعيرُ بغير لُبٍّ ... فلم يستغْنِ بالعِظَمِ البعيرُ
يصرفهُ الصَّبيُّ بكل وَجْهٍ ... ويحبسهُ على الخسْفِ الجريرُ
وتضربُهُ الوليدةُ بالهراوِي ... فلا غَيْرٌ لديه ولا نكيرُ
فإن أكُ في شراركم قليلًا ... فإني في خيارِكُمُ كثيرُ

وهاك بعض الشرح:

١- مزير: الشديد القوى.

٢- الطرير: الحسن المنظر.

٣- خِير: بكسر الخاء وهو المجد والشرف.

٤- بغاث الطير: كل طائر ليس من جوارح الطير ولا يصيد.

مِقلاة: لا تفرخ إلا واحدًا أو هى التى لا يعيش لها ولد.

نزور: قليلة الولد.

٥- البزاة: جمع باز وهو طائر صيد.

٦- لُب: عقل.

٧- الخسف: حبس الجمل بدون علف.

الجرير: حبل يكمُّ به الجمل.

٨- الوليدة: الصبية.

٩- الهراوى: جمع هراوة وهى العصا.

(مجموعة من النظم والنثر للحفظ والتسميع/٦٦، ٦٧).

(د) (أ) ٣٥- عبد الله بن شبيب:

عن تغير الناس بتغير الزمان قال ثعلب: أنشدنى عبد الله بن شبيب:

ما الناسُ بالناسِ الذين عهدتَهم ... وما الدهرُ بالدهر الذى كنت تعرفُ

وما كلُّ من تَهوى يودُّكَ قلبُه ... ولا كلُّ من صاحبتَهُ لكَ مُنْصِفُ

(مجالس ثعلب لأبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب شرح وتحقيق عبد السلام محمد هارون. ذخائر العرب (١) دار المعارف بمصر. القسم الأول الطبعة الثالثة ١٩٦٩ م/٤٩).

(د) (أ) ٣٦- عبد الله بن كثير

قال في صفات الناس وطبائعهم:

الناس أتباعُ مَنْ دامت له النّعمُ ... والويل للمرء إنْ زَلّتْ به القدمُ
المال زَيْن ومن قلّتْ دراهمه ... حيٌّ كمن ماتَ إلا أنه صَنَمُ

(معجم الأبيات الشهيرة/٢١٠).

(د) (أ) ٣٧- أبو العتاهية:

(د) (أ) ٣٧- ١- من قوله في طبائع الناس:

ما الناس إلا للكثير المال أو ... لمسلط ما دام في سلطانه
فإذا الزمانُ رماهما ببليّةٍ ... كان الثقات هناك من أعوانه

أى من أعوان الزمان.

(الوسيط في الأدب العربى وتاريخه للشيخ أحمد الإسكندرى والشيخ مصطفى عنانى/٢٦٢، ٢٦٣).

(د) (أ) ٣٧- ٢- وقال من قصيدة:

بَلَوْتُ الناس قَرْنًا بعد قَرْنٍ ... فلم أرَ غيرَ خلّابٍ وقالي

(طبقات الشعراء لابن المعتز تحقيق عبد الستار أحمد فراج دار المعارف بمصر ١٩٧٦ م/٢٣٤).

(د) (أ) ٣٧- ٣- وقال أبو العتاهية يصف الناس:

يا ربّ إن الناسَ لا يُنْصِفُونني ... فكيف وإن أنصفْتُهُمُ ظلموني
فإن كان لى شيءٌ تصدَّوْا لأخذِهِ ... وإن جئتُ أبغى شيئَهُمْ منعوني

وإن نالهم بَذْلى فلا شُكر عندهمُ وإن أنا لم أبذُلْ لهم شتمُوني
وإن طرقتنى نكبةٌ فكهوا بها وإن صَحِبَتْنى نعمةٌ حَسَدُوني
سأمْنَعُ قلبى أن يحنَّ إليهمُ وأغمض عنهم ناظرى وجفوني
ألا إنَّ أصْفى العَيْشِ ما طاب غِبُّهُ وما نلته في لذَّةٍ وسُكونِ

(أدب الدنيا والدين للماوردى حققه وعلق عليه ووضع فهارسه محمد فتحى أبو بكر/٢٤٠).

وقد أورد ابن عبد رَبّه الأبيات في العقد الفريد ما عدا البيت الأخير مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(انظر العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسى بتحقيق محمد سعيد العريان ١٥٢/٢ ١٥٣).

وقد وردت الأبيات الأربعة الأولى في لوحة لسيد إبراهيم الخطاط، مع اختلاف في بعض الألفاظ، كما أن البيت الثالث ورد في اللوحة الخطية آخر الأبيات.

هذا وقد طبعت هذه الصورة الخطية في كتاب «جمالية خط التعليق «لحسن قاسم حبش. سلسلة الفنون العربية (١٤). منشورات دار الثقافة بغداد الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م/٢٧.

(د) (أ) ٣٧- ٤- وقال في طبائع الناس:

ما الناسُ إلا آلةٌ مُعْتَمِلَةْ للخير والشرِّ جميعًا فَعَلَةْ

(أدب الدنيا والدين للماوردى حققه وعلّق عليه ووضع فهارسه محمد فتحى أبو بكر/٢٣٠).

(د) (أ) ٣٨- على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه:

(د) (أ) ٣٨- ١- قال (رضى الله عنه) في الأصدقاء والزمن (ص ٧، ٨):

تغيرت المودة والإخاءُ وقلَّ الصدقُ وانقطع الرجاءُ
وأسلمنى الزمانُ إلى صديقٍ كثير الغدر ليس له رعاءُ

وَرُبَّ أخٍ وفيتُ له بحقٍّ ... ولكن لا يدوم له وفاء
أخلاءٌ إذا استغنيتُ عنهمْ ... وأعداءٌ إذا نزل البلاءُ
يديمون المودة ما رأوني ... ويبقى الوُدُّ ما بقي اللقاء
وإن غيبتُ عن أحد قلاني ... وعاقبني بما فيه اكتفاء
سيغنيني الذي أغناه عني ... فلا فقر يدوم ولا ثراء
وكل مودة لله تصفو ... ولا يصفو مع الفسق الإخاءُ
وكل جراحة فلها دواءٌ ... وسوء الخلق ليس له دواءُ
وليس بدائم أبدًا نعيم ... كذلك البؤس ليس له بقاءُ
إذا أنكرت عهدًا من حميم ... ففي نفسي التكرم والحياءُ
إذا ما رأس أهل البيت ولَّى ... بدا لهم من الناس الجفاءُ

(د) (أ) ٣٨- ٢- وقال (رضى الله عنه) في الإخاء بين الناس (ص ١٦):

ذهب الوفاء ذهاب أمس الذاهب ... فالناس بين مخاتلٍ وموارِبِ
يفشون بينهم المودة والصفا ... وقلوبهم محشوةٌ بعقاربِ

(د) (أ) ٣٨- ٣- وقال (رضى الله عنه) في كيفية التعامل مع الناس، من القصيدة الزينبية المشهورة (ص ٣٤):

وألقى عدوك بالتحية لا تكن ... منه زمانك خائفًا تترقَّبُ
واحذره يومًا إن أتى لك باسمًا ... فالليث يبدو نابهُ إذ يغضبُ
إن الحقود وإن تقادم عهدهُ ... فالحقد باقٍ في الصدور مُغَيَّبُ
وإذا الصديق رأيته متملقًا ... فهو العدو وحقه يُتجنَّبُ
لا خير في ودِّ امرئ متملق ... حلو اللسان وقلبه يتلهَّبُ
يلقاك يحلف أنه بك واثقٌ ... وإذا توارى عنك فهو العقرب
يعطيك من طرف اللسان حلاوةً ... ويروغ منك كما يروغ الثعلبُ...

* * *

ودع الكذوب فلا يكن لك صاحبًا — إن الكذوب ليس خِلاً يُصحب
وذر الحسود ولو صفا لك مرّةً — أبعده عن رؤياك لا يستجلب

(د) (أ) ٣٨- ٤- وينسب إليه (رضى الله عنه) في صفات الناس وشرورهم وتقلُّبهم مع الزمان (ص ٥٩):

الناس في زمن الإقبال كالشجرةْ — وحولها الناس ما دامت الثمرةْ
حتى إذا ما عَرَتْ من حملها انصرفوا — عنها عقوقًا وقد كانوا بها بَرَرَةْ
وحاولوا قطعها من بعد ما شفقوا — دهرًا عليها من الأرياح والغبرةْ
قَلَّتْ مروءات أهل الأرض كلهم — إلا الأقل فليس العُشر من عشره
لا تحمدنّ امرَءًا حتى تجرِّبه — فربما لم يرافق خُبرهُ خَبَره

(د) (أ) ٣٨- ٥-

وقال (رضى الله عنه) عن تقلب الناس مع الزمان (ص ٦٤):

ذهب الرجال المقتدَى بفعالهم — والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزين بعضهم — بعضًا ليدفع محورًا عن محورِ
سلكوا بنيات الطريق فأصبحوا — مُتنكّبين عن الطريق الأكبر

(د) (أ) ٣٨- ٦-

وقال (رضى الله عنه) عمن يعيبون الزمان (ص ٦٩):

يعيبُ رجال زمانًا مضى — وما لزمانٍ مضى من غيرْ
أرى الليل يجرى كعهدى به — وأن النهار علينا يكرْ
ولم تحبس القطر عنا السّما — ولم تنكشف شمسنا والقمرْ
فقل للذى ذمّ صرف الزمان — ظلمت الزمان فَذُمَّ البشرْ

(د) (أ) ٣٨- ٧-

وقال (رضى الله عنه) في الحث على اعتزال الناس لاتقاء شرهم (ص ٧٤):

الحمد لله لا شريك له — دأبى في صُبحِهِ وفي غلسِه
لم يبق لى مؤنسٌ فيؤنسني — إلا أنيس أخاف من أُنسه
فاعتزل الناسَ ما استطعت ولا — تركن إلى من تخاف من دنسِهِ
فالعبد يرجو ما ليس يدركه — والموت أدنى إليه من نفسه

(د) (أ) ٣٨- ٨-

وقال (رضى الله عنه) في كيفية التعامل مع العدوّ (ص ٨٢):

وداوِ عدوًّا داءه لا تُداره — فإن مداراة العدى ليس تنفَعُ
فإنك لو داريت عامين عقربًا — وقد مُكِّنَتْ يومًا من الدهر تلسعُ

(د) (أ) ٣٨- ٩-

وقال (رضى الله عنه) عن ندرة الصديق الصدوق بين الناس (ص ٩٢):

تغرّبتُ أسأل من عَنَّ لى — من الناس هل من صديق صدوق
فقالوا عزيزان لا يوجدان — صديق صدوق وبيض الأنوق

(د) (أ) ٣٨- ١٠-

وقال (رضى الله عنه) عن تغير الناس بتغير الزمان والحث على اعتزالهم (ص ١٢٥، ١٢٦):

هذا زمان ليس إخوانه — يا أيها المرء بإخوان
إخوانه كلُّهم ظالمٌ — لهم لسانان ووجهان
يلقاك بالبشر وفي قلبه — داءٌ يواريه بكتمان
حتى إذا ما غبت عن عينه — رماك بالزور والبهتان
هذا زمان هكذا أهله — بالودّ لا يصدقك اثنان

يا أيها المرء فكن مُفردًا   دهرك لا تأنس بإنسان
وجانب الناس وكن حافظًا   نفسك في بيتٍ وحيطان

(ديوان الإمام علىّ أمير المؤمنين وسيد البلغاء والمتكلمين جمع وترتيب عبد العزيز الكرم/٧، ٨، ١٦، ٣٤، ٥٩، ٦٤، ٦٩، ٧٤، ٨٢، ٩٢، ١٢٥، ١٢٦).

(د) (أ) ٣٩- على بن عيسى الوزير:

عن طبائع الناس وتقلُّبهم تمثَّل ابن إياس بهذين البيتين، ولم يذكر اسم الشاعر، فقال:

ما الناس إلاَّ مع الدنيا وصاحبها   فحينما انقلبت يومًا به انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا فإن وَثبت   يومًا عليه بما لا يشتهى وثبوا

(بدائع الزهور في وقائع الدهور لمحمد بن أحمد بن إياس كتاب الشعب ١٠٥ دار ومطابع الشعب القاهرة ١٩٦١، ٦/٦١٤).

هذا وقد أورد المعجم البيتين ونسبهما إلى على بن عيسى الوزير، وورد أول عجز البيت الأول بلفظ «فكلما» بدلًا من «فحينما».

(معجم الأبيات الشهيرة لحسن نمر دندشى/٢٨)

(د) (أ) ٤٠- عُمارة اليمنى:

عن طبائع الناس قال:

حَياكَ من لم تكن ترجو تحيَّتهُ   لولا الدراهمُ ما حيَّاك إنسانُ

(معجم الأبيات الشهيرة/٢٣٢).

(الفاء)

(د) (أ) ٤١- أبو الفتح البستى: من قصيدته «عنوان الحكم».

(د) (أ) ٤١- ١- قال في طريقة معاملة الناس (ص ٣٦ البيت ٧):

أَحْسِنْ إلى الناس تستعبد قلوبهمُ   فطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ

وقد ورد البيت في معجم الأبيات الشهيرة/٢٣٢. منسوبًا إلى المتنبى، ومن ثم فإن أبو الفتح البستى الذى توفي في سنة ٤٠١ هـ قد أخذه عن المتنبى الذى توفي سنة ٢٥٤ هـ.

(د) (أ) ٤١- ٢- وقال أيضًا (ص ٣٦ البيتان ١٦، ١٧):

من جاد بالمال مالَ الناس قاطبةً ... إليه والمالُ للإنسان فتّانُ

من سالم الناس يسلم من غوائلهم ... وعاش وهو قرير العين جَذْلانُ

(د) (أ) ٤١- ٣- وقال عن طبائع الناس (ص ٣٧ البيتان ٢٠، ٢١):

٢٠- من عاشرَ الناس لاقى منهم نَصَبًا ... لأن سُوْسَهُمُ بَغْيٌ وعدوان

٢١- ومن يفتّش عن الإخوان يقْلِهِمُ ... فجُلُّ إخوانِ هذا العصر خوّانُ

٢٠- النَّصَب يراد به المتاعب والشرور والعداوات، والسُّوْس: الطبيعة.

٢١- يَقْلِهم: يبغضهم ويكرههم، من قلاه يقليه: أبغضه وكرهه.

(د) (أ) ٤١- ٤- وقال (ص ٣٩، البيتان ٣٤، ٣٧):

٣٤- والناسُ أعوانُ من والتْهُ دولتُهُ ... وهُمْ عليه إذا عادَتْهُ أعوانُ

٣٧- لا تحسب الناسَ طبعًا واحدًا فلهُمْ ... غرائز لستَ تحصيهنَّ ألوانُ

(قصيدة عنوان الحكم للشاعر الأديب أبى الفتح البستى ضبطها وعلّق عليها عبد الفتاح أبو غدة/٣٦، ٣٧، ٣٩).

(د) (أ) ٤٢- أبو فراس الحمدانى:

قال عن تغيُّر الناس في زمانه وتعذر الثقة بهم:

وقد صار هذا الناس إلا أقلّهمْ ... ذئابًا على أجسادهنَّ ثيابُ

(معجم الأبيات الشهيرة/٢٧).

(القاف)

(د) (أ) ٤٣- القاضي التنوخي (وهو أبوعلي المحسن بن أبي القاسم):

قال عن كيفية التعامل مع الناس لاتقاء شرّهم:

الْقِ العدوَّ بوجهٍ لا قُطُوبَ به ... يكادُ يقطر من ماءِ البشاشاتِ
فأحزَمُ الناسِ من يلقى أعاديَهُ ... في جسم حقدٍ وثوبٍ من موداتِ

(أدب الدنيا والدين للماوردي ط. وزارة المعارف العمومية/ ١٦٠).

(د) (أ) ٤٤- ابن قلاقس:

قال في طبائع الناس وما يتميزون به من الغدر، من قصيدة يمدح بها ياسر ابن بلال:

غاضَ الوفاءُ وفاض ما ... ءُ الغَدْرِ أنهارًا وغُدْرا
فانظر بعينك هل ترى ... عُرْفًا وليس تراه نُكرًا ؟
خُلُقٌ جرى من آدمٍ ... في نَسْلِهِ، وهَلُمَّ جرًّا

(المنتخب من أدب العرب لأحمد الإسكندري وزملائه وزارة المعارف العمومية المطابع الأميرية بالقاهرة ١٩٥٢، ٩٨/٢، وطبعة ١٩٣٤، ٣٨١/٢).

(الكاف)

(د) (أ) ٤٥- الكفرعزي:

أوردناه تحت اسمه «جعفر بن هبة الله الكفرعزّي» في حرف الجيم تحت رقم (د) (أ) ٩- فانظره في موضعه.

(د) (أ) ٤٦- الكميت:

قال عن طبائع الناس:

ورأيت الشريف في أعين النا ... سِ وضيعًا وقَلَّ منه احتشامي

الاحتشام: التغضُّب: حشمت فلانًا واحتشمته أى أغضبته، والحشمة: الحياء والانقباض.

(لسان العرب لابن منظور دار المعارف بمصر. ١٩٧٩، ١٠/٨٨٨، مادة «حشم»).

(د) (أ) ٤٧- ابن لنكك

قال أبو منصور الثعالبى: أنشدنى أبو الحسن الدلفى لابن لنكك البصرى:

نحن والله فى زمانٍ غشوم ... لو رأيناه فى المنام فزعنا
أصبح الناسُ فيه فى سوء حالٍ ... حقّ من مات فيه أن يتهنّا

(تحسين القبيح وتقبيح الحسن تصنيف أبى منصور الثعالبى تحقيق شاكر العاشور/٧٥).

(د) (أ) ٤٨- الليث:

أنشد الليث:

من الناسِ من يَغْشَى الأباعِدَ نَفْعُه ... ويشْقى به حتى الممات أقاربُهْ
فإن يكُ خيرٌ فالبعيد ينالُهُ ... وإن يكُ شَرًّا فابن عمِّكَ صاحبُهْ

(لسان العرب ٤/٣٠٩).

(الميم)

(د) (أ) ٤٩- المتنبى

قال المتنبى عن الناس والزمن:

(د) (أ) ٤٩- ١-

أفاضِلُ الناس أعراض لذا الزَّمنِ ... يخلو من الهمّ أخلاهمْ من الفِطَنِ

(يتيمة الدهر فى محاسن هذا العصر لأبى منصور الثعالبى أعاد تحقيقها وشرحها وعرَّف بشعرائها ووضع فهارسها إيليا الحاوى الشركة الشرقية للنشر والتوزيع الطبعة الأولى د. ت، ٤/٣٢٢).

وقال في طريقة التعامل مع الناس:

(د) (أ) ٤٩- ٢-

أحْسِن إلى الناسِ تستعْبِد قلوبَهُمُ ... فطالما اسْتَعْبَدَ الإنسانَ إحسانُ

(معجم الأبيات الشهيرة/٢٣٢).

وقال عن الناس والزمن:

(د) (أ) ٤٩- ٣-

صَحِبَ النـاسُ قبلَنا ذا الزّمانا ... وعنـاهُمْ مـن أمـره مـا عَنانا

وتـوَلَّـوْا بـغُـصَّـةٍ كُـلُّـهُـمْ مِنـ ... ـهُ وإنْ سَـرَّ بـعـضَـهُـمْ أحيانا

(ديوان المتنبى/٣٥٧، ٣٥٨، ومعجم الأبيات الشهيرة/٢٢٤، والمنتخب من أدب العرب طبعة ١٩٥٢، ٢/٦٥).

وقال يذم الناس:

(د) (أ) ٤٩- ٤-

ومـن عَـرَفَ الأيـامَ معـرفتى بها ... وبالناس، روَّى رُمحه غيرَ راحِم

(المفصل في تاريخ الأدب العربى لأحمد الإسكندرى وزملائه مكتبة الآداب القاهرة ٢٠٠٥، ٢/٦٢. انظر أيضًا: معجم الأبيات الشهيرة/٢١٥).

وقال:

(د) (أ) ٤٩- ٥-

ودهـر نـاسـهُ نـاسٌ صِغـارٌ ... وإن كـانـت لهـم جُـثَـثٌ ضِخَـامُ

ومـا أنـا منـهـم بـالعـيـش فيهم ... ولـكـن معـدنُ الـذّهـبِ الـرّغـامُ

(المفصل في تاريخ الأدب العربى لأحمد الإسكندرى وزملائه ٢/٦٢).

وقال في معنى إن فساد الوقت وتغير أهله يوجب شكر من كان شرُّه مقطوعًا وإن كان خيره ممنوعًا، أى من يتجنب معك القبيح ولا يعاملك به في هذا الزمان فقد أحسن إليك وفعل جميلا، لكثرة من يعاملك بالسوء:

(د) (أ) ٤٩- ٦-

إنا لفى زمن تَركُ القبيح به   من أكثر الناس إحسانٌ وإجمالُ

(أدب الدنيا والدين للماوردى ط. الدار المصرية اللبنانية/٢١٢، ويتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبى منصور الثعالبى أعاد تحقيقها وشرحها وعرّف بشعرائها ووضع فهارسها إيليًا الحاوى ٤/٣٣٣).

ويقول في التعامل مع الناس «حين يكتشف أن وُدّهم صار خِبًا»، بكسر الخاء، أى خداعًا ونفاقًا:

(د) (أ) -٤٩- ٧-

ولما صار وُدُّ الناس خِبًّا   جَزَيْتُ على ابتسام بابتسام
وصرتُ أشكُّ في من أصْطفيه   لعِلمى أنه بَعْضُ الأنام

(معجم الأبيات الشهيرة/٢١٤).

وقال عن أشد عيوب الناس في نظره أو هو من حِكَمِه:

(د) (أ) ٤٩- ٨-

ولم أرَ في عيوب الناس شيئًا   كنقصِ القادرين على التَّمامِ

(المفصل في تاريخ الأدب العربى لأحمد الإسكندرى وزملائه طبعة مكتبة الآداب القاهرة ٢٠٠٥، ٢/٥١).

وقال عن أحوال الناس وصفاتهم:

(د) (أ) ٤٩- ٩-

على ذا مضى الناسُ: اجتماعٌ وفُرقةٌ   ومَيْتٌ ومولودٌ، وقالٍ ووامِقُ

وهو نموذج من حسن سياقة الأعداد، والقالى: الكاره، والوامق: المحب.

(يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبى منصور الثعالبى ٤/٣١٤).

وقال عن ظلم الناس:

(د) (أ) ٤٩- ١٠-

والظلم من شيم النفوسِ، فإن تجدْ ذا عِــفَّــةٍ فـلـعِـلَّـةٍ لا يـظـلـمُ

- يقول إن المرء يطرب للاستبداد بسواه، فإذا عفَّ عن الظلم، فثمة علَّة تحول به من دون ذلك.

(يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبى منصور الثعالبى ٤/ ٢٣٤).

وقال في أصناف الناس وكيفية التعامل معهم:

(د) (أ) ٤٩- ١١-

وما قتل الأحــرارَ كالعفو عنهُمُ ومَنْ لك بالحُرّ الذى يحفظ اليدا

إذا أنـت أكـرمـت الـكـريمَ ملكتَهُ وإن أنـت أكـرمـتَ اللـئـيم تمـرَّدَا

ووضْعُ النَّدَى في موضع السيف بالعُلَى مُضِرٌّ كوضع السَّيفِ في موضع النَّدَى

(ديوان المتنبى. المركز العربى للبحث والنشر القاهرة ١٩٨٠/ ٢٨١ طبعة مصورة ومصغرة عن طبعة أمين هندية القاهرة ١٩٢٣. انظر أيضًا يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبى منصور الثعالبى ٤/ ٢٢٣، ولاحظ اختلاف ترتيب بعض الأبيات.

(د) (أ) ٤٩- ١٢-

وقال يذم أهل زمانه من قصيدة يمدح بها عليَّ بن محمد بن سيار:

أذُمُّ إلى هــذا الـزَّمــانِ أُهَـيْـلَـهُ فـأعْـلَـمُـهُـمْ فَـدْمٌ وأحـزنهُـمْ وَغْـدُ

وأكـرمـهـم كـلـبٌ وأبْـصَـرهُـم عَـمٍ وأسـهْـدَهُـم فـهْـد وأشـجـعـهـم قـردُ

ومن نكدِ الدنيا على الحُرّ أن يرى عــدوًّا لــهُ مـا مـن صداقـتـه بُـدُّ

- الفَدْم: هو ثقيل النطق بعيد الفهم، والوغد: الأحمق الخسيس.

- أسْهَدهم: أى أيقظهم، والفهد يضرب به المثل في كثرة النوم، والقرد يضرب به المثل في الخوف.

(ديوان المتنبى/١٥٥).

(د) (أ) ٥٠- محمد بن داود الجرّاح البغدادى:

قال عن تغير الناس وانقلاب الأوضاع:

قد ذهب الناسُ فلا ناسُ … وصار، بعد الطمع، الياسُ

وأساس أمر القومِ أدناهُمُ … وصار تحت الذّنَبِ الرّأسُ

(معجم الأبيات الشهيرة/١٢٥).

(د) (أ) ٥١- المرقش الأصغر:

قال عن طبائع الناس:

ومَنْ يَلْقَ خيرًا يحمد الناسُ أمرَهُ … ومن يَغْوَ لا يَعْدَمْ على الغيِّ لائما

أى الرجل يلقى مغبة عمله (المنتخب من أدب العرب لطه حسين وزملائه طبعة وزارة المعارف ١٩٣٤ ، ٢/١٧٧).

(د) (أ) ٥٢- معروف الرصافى:

قال في أصناف الناس:

وخيرُ الناس ذو حَسَب قديم … أقام لنفسه حَسَبًا جديدًا

وشرُّ العالَمين ذوو خُمولٍ … إذا فاخَرْتَهُمْ ذكروا الجدودا

إذا ما الجهلُ خيَّم في بلادٍ … رأيت أسودَها مُسِخَتْ قرودَا

(معجم الأبيات الشهيرة/٦٨).

(د) (أ) ٥٣- المعرّى

قال في طبائع الناس والحث على البعد عنهم:

(د) (أ) ٥٣- ١-

وزهّدنى في الناس معرفتى بهم … وعلمى بأنّ العالمين هَباءُ

بُعْدى عن الناس بُرْءٌ من سقامهمُ … وقُربُهُمْ للحِجَى والدِّين أدواءُ

على الولد يجنى والدٌ ولو انهُمْ … وُلاة على أمصارِهِمْ أقراءُ

(معجم الأبيات الشهيرة/١٢).

وقال في طبائع الناس وطريقة التعامل معهم، من قصيدة مطلعها:

«ألا في سبيل المجد ما أنا فاعلُ»

(د) (أ) ٥٣- ٢-

ولما رأيتُ الجهل في الناسِ فاشيًا تجاهلتُ حتى قيل: إنى جاهلُ
فوا عجبا ! كم يدَّعى الفضلَ ناقصٌ ووا أسفا ! كم يُظهر النقص فاضلُ

(المنتخب من أدب العرب لأحمد الإسكندرى وزملائه وزارة المعارف العمومية ١٩٥٢، ٧٩/٢، ومعجم الأبيات الشهيرة/ ١٨٠).

وقال عن ظلم الناس:

(د) (أ) ٥٣- ٣-

قد فاضتْ الدُّنيا بأدناسها على براياها وأجناسِها
وكلُّ حيٍّ فوقها ظالمٌ وما بِها أظلمُ من ناسِها

(المنتخب من أدب العرب ط. ١٩٥٢، ٨٣/٢).

وقال في انطباع الناس على الشر:

(د) (أ) ٥٣- ٤-

لو يفهمُ الناسُ، لو أبناؤهُم جُلبوا وبيعَ بالفَلْس ألفٌ منهُمُ كَسَدوا
فويحهُمْ بئس ما رَبوا وما حَضَنُوا فهْى الخديعةُ والأضغانُ والحَسَدُ
وهكذا كان أهل الأرضِ مُنذ فُطِروا فلا يظُنُّ جَهُولٌ أنهم فسَدُوا

المعنى: لو علم الناس أن أبناءهم لو كانوا عبيدًا يُجلبون وعُرض للبيع ألفٌ منهم بفلس ما اشتراهم أحد.

(المنتخب من أدب العرب ط. ١٩٣٤، ٣٦٩/٢، وط. ١٩٥٢، ٨٣/٢).

وقال في مرأى الناس ومخبرهم:

(د) (أ) ٥٣- ٥-

يَحْسُنُ مَرْأى لبني آدم — وكُلُّهُمْ في الذَّوقِ لا يَعْذُبُ
ما فيهم بَرٌّ ولا ناسِكٌ — إلا إلى نفع له يجذب
أفضلُ من أفضلهم صخرةٌ — لا تظلمُ الناسَ ولا تكذب

(المنتخب من أدب العرب ط. ١٩٣٤، ٢/٣٦٩، وط ١٩٥٢، ٢/٨٤).

وقال في ظلم الناس وجورهم:

(د) (أ) ٥٣- ٦-

فما أذنب الدهرُ الذى أنت لائمٌ — ولكن بَنُو حواءَ جاروا وأذنبوا

(معجم الأبيات الشهيرة/٣٢).

(د) (أ) ٥٤- المغيرة

قال في الناس:

إن العرانين تلقاها مُحسَّدة — ولا ترى للئام الناس حُسَّادا

(العرانين: جمع «عِرنين» وهو الأنف. وهو هنا استعارة للرجال الأُباة)

(معجم الأبيات الشهيرة/٦٤).

(د) (أ) ٥٥- ابن مُقلة

قال عن عدم الوفاء عند الناس:

تحالفَ الناسُ والزمانُ — فحيث كان الزمانُ كانوا
عادانى الدهرُ نِصْفَ يوم — فانكشف الناسُ لى وَبانوا
يا أيها المعرضون عنا — عُودوا، فقد عاد لى الزمانُ

(معجم الأبيات الشهيرة/٢٣٣).

(د) (أ) ٥٦- منصور بن إسماعيل المصرى

قال في مدح العزلة والبعد عن الناس:

(د) (أ) ٥٦- ١-

الناس بحرٌ عميقٌ والبُعْدُ عنهم سفينهْ
وقد نصحتُك فانظر لنفسِك المسكينهْ

(اللطائف والظرائف للثعالبى/١٢٦).

(د) (أ) ٥٦- ٢-

لا تتفق أحوال الناس جميعهم على حد واحد، لأن التباين في الناس غالب، واختلافهم في الشيم ظاهر. وقال بعض الحكماء: الرجال كالشجر، شرابه واحد وثمره مختلف، فأخذ هذا المعنى منصور بن إسماعيل فقال:

بنو آدم كالنَّبت ونبتُ الارض ألوانُ
فمنهم شجرُ الصَّنْدَلِ والكافورُ والبانُ
ومنهم شجر أفضلُ ما يحمل قَطْرانُ

(أدب الدنيا والدين للماوردى ط. ١٩٥٢ م/١٤٧، وط. ١٩٩١ م/٢٠٩).

(النون)

(د) (أ) ٥٧- أبو نُوَاس

ما خُلِق الغفرانُ إلاَّ لامرئٍ في الناس خاطِي

(معجم الأبيات الشهيرة/١٣٨).

(الهاء)

(د) أ (٥٨) ابن هرمة. قال عن طبائع الناس وشرورهم:

ليْتَ السِّباعَ لنا كانت مُجاورةً وإننا لا نرى ممن نرى أحدا
إن السِّباع لتهْدأ عن فرائِسها والناس ليس بهادٍ شرُّهم أبدا

(لسان العرب لابن منظور، ٥١/٤٦٢٨).

(د) (أ) ٥٩- أبو هيّان

ومن أحسن ما قيل في الانفراد والعزلة عن الناس قول أبى هيان:

إنْ أَمْسَ منفردًا فالليث مُنْفردٌ والبدرُ منفرد والسيفُ منفرد

(اللطائف والظرائف للثعالبى/١٢٦).

(الواو)

(د) (أ) ٦٠- وليّ الدين يكن

قال في قصيدة بعنوان:

ويلُ للنَّاسِ مِنَ النّاسِ

يُريدُ النَّاسُ في الدنيا هناءً	**ويأبى أن يجود به الزمانُ**
حياة حارَبَتْهُمْ مُنذُ كانتْ	**وحظ حاربوهُ مُنْذُ كانوا**
وآمال تَغُرهم عَجافٌ	**وأحداثٌ تُكذبها سمانُ**
وكم من مُستنيلٍ ليس يُعْطَى	**وكم من مُستعين لا يُعانُ**
تكاثرت الهمومُ فلا يَراعٌ	**تُوفّيها الشكاةُ ولا لسانُ**
أمانًا أيها الخَصْمُ المُعادي	**إذ دانَ العدا وجب الأمانُ**
أَ إن رَغبوا إليكَ رغبتَ عنهُمْ	**لقد هانتْ رغائبهم وهانوا**
يُمنّي الناسُ بعضهمُ بخير	**ألا كذبوا على بعضٍ ومانوا**
وداعٍ جاءَ يدعونى لنُصْحٍ	**وقد وهنَ النُّهى ووهى البنانُ**
تعبتُ من الكلام فليسَ يُجدي	**- كما أملت - نظم أو بيانُ**
وكانتْ صَبْوَةٌ ونزعْتُ عنها	**فها أنا لا أدينُ ولا أُدانُ**
وما أسفى على عَهْدٍ تقضَّى	**ولكن صُنْتُ عهدًا لا يُصانُ**
ظللتُ أميتهُ دهرًا طويلاً	**وكنتُ أظن أنى لا أُخانُ**
ودارٍ لا يزُولُ القتلُ عنها	**كأن الحربَ فيها مهرجانُ**
أهابَ بها اليراعُ فلم تُجبهُ	**وناداها فجاوبت السنانُ**

تظلُّ بها السواعدُ عاملات	يُصرفها ضراب أو طعانُ
بكتْ عينى الشبابَ وحين جفَّتْ	مدامعها غدا يبكى الجنانُ
لعمرُكَ ما لذى نُصْح مكانٌ	ولا للنصح في الدنيا مكانُ
فدعنى إنَّ آمالى استكفَّتْ	فلى شان وللآمالِ شانُ

وفيما يلى شرح معانى بعض الألفاظ:

البيت رقم (٣): عجاف: جمع عجفاء، أى هزيلة ضامرة. وسمان: جمع سمينة.

البيت رقم (٤): مستنيل: طالب نوالا أى عطاء. مستعين: طالب عونًا.

البيت رقم (٥): اليراع: الأقلام، المفرد «يراعة».

البيت رقم (٨): مانوا: من المين بسكون الياء وهو الكذب.

البيت رقم (٩): وهن: ضعف: النهى: العقول جمع «نهية» بضم الهاء، وهى ضعف. البنان: أطراف الأصابع جمع «بنانة».

البيت رقم (١١): صبوة: من صبا بمعنى مال وأحب.

البيت رقم (١٥): السنان: نصل الرمح.

البيت رقم (١٧): الجنان بفتح الجيم: القلب.

البيت رقم (١٩): استكفت: انقطعت وانتهت.

(المنتخب من أدب العرب لأحمد الإسكندرى وزملائه ط. ١٩٥٢، ٩٣/١، ٩٤، وط. ١٩٣٤، ٥١٠/٢، ١١).

(الياء)

(د) (أ) ٦١- يزيد بن الحكم الثقفى

عن المنافقين الذين يظهرون غير ما يبطنون:

يقول الماوردى: قال بعض الحكماء: مثل العدوّ الضاحك إليك كالحنظلة الخضراء أوراقها، القاتل مذاقها، وقد قيل في منثور الحكم: لا تَغْتر بمقاربة العدوّ فإنه كالماء، وإن أطيل إسخانه بالنار لم يمنع من إطفائها.

وقال يزيد بن الحكم الثقفي:

تكاشرني ضحكًا كأنك ناصح ... وعينك تُبدى أن صدْرَكَ لى دَوى
لسانُك معسولٌ ونفسكَ عَلْقَمٌ ... وشَرُّكَ مبسوطٌ وخيرُكَ مُلْتَوي
فليْتَ كفافًا كان خيرك كلُّه ... وشَرُّكَ عني ما ارتوى الماءَ مُرتَوي

(أدب الدنيا والدين للماوردى حققه وعلق عليه ووضع فهارسه محمد فتحى أبو بكر/٢٠٩).

(د) (ب) الشعر الذى نسب إلى شاعر مجهول وعُبّر عنه بعبارة «قال الشاعر»، أو «قال بعضهم». أو ما شابه ذلك، ونسوق النماذج وفقا للمصادر التى وردت بها، مرتبة ترتيبًا هجائيًا على النحو التالى:

(د) **(ب)** ١- أدب الدنيا والدين للماوردى، طبعة وزارة المعارف العمومية (١٣٤٣ هـ/١٩٥٢ م) ونشير إليها بالرموز (ط أ)، وطبعة الدار المصرية اللبنانية (١٤١١ هـ/١٩٩١ م) ونشير إليها بالرموز (ط ب) (ص ١٦٠، ١٧٧، ١٨٣، ٢٠٢، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١١، ٢١٧، ٢٥٠).

(د) **(ب)** ١- ١- عن طريقة التعامل مع الناس ومداراتهم قال الشاعر:

وإذا عجزت عن العدوِّ فَداره ... وامزحْ له إن المزاجَ وفاقُ
فالنارُ بالماء الذى هو ضدها ... تُعطى النضاج وطبعُها الإحراقُ

(ط أ، ص ١٦٠).

(د) **(ب)** ١- ٢- وقال بعض الشعراء:

ما دُمْتَ حيًّا فدارِ الناس كلَّهم ... فإنما أنت في دار المداراتِ
منْ يدرِ دَارى ومن لم يدرِ سوف يرى ... عما قليل نديمًا للندامات

ط أ، ص ١٢١ وط ب، ص ١٧٧).

(د) **(ب)** ١- ٣- عن كيفية التعامل مع الناس قال الشاعر:

الناسُ إن وافقتَهُمْ عَذُبوا ... أو لا، فإن جناهُمُ مُرُّ
كَمْ من رياضٍ لا أنيسَ بها ... تُركتْ لأن طريقَها وَعْرُ

(ط أ، ص ١٤١ وط ب، ص ٢٠٢).

(د) (ب) ١- ٤- قال الماوردى: وأنشدنى بعض أهل العلم:

لا تركننَّ إلى ذى منظرٍ حسنٍ … فَرُبَّ رائقةٍ قد ساءَ مخبرُها
ما كلُّ أصفر دينارٌ لصُفْرته … صُفْرُ العقارب أرداها وأنكرها

(ط أ، ص ١٤٤ وط ب، ص ٢٠٦).

(د) (ب) ١- ٥- عن صحبة ذوى الجهل ومجادلة ذوى المحال قال بعض الشعراء:

إذا ما كنتَ مُتخذًا خليلًا … فلا تثقنَّ بكلِّ أخى إخاءِ
فإن خُيرتَ بينهم فالصقْ … بأهل العقل منهم والحياءِ
فإن العقل ليس له إذا ما … تفاضلت الفضائلُ من كفاءِ

(ط أ، ص ١٤٥ وط ب، ص ٢٠٧).

(د) (ب) ١- ٦- عن قلة أهل الفضل وكثرة إخوان ذوى النقص قال الشاعر:

لكلِّ امرئٍ شكلٌ من الناسِ مثلهُ … فأكثرهم شكلًا أقلهم عقلاَ
وكلُّ أناسٍ آلفون لشكْلِهم … فأكثرهم عقلًا أقلهم شكلاَ
لأن كثير العقل لسْتَ بواجدٍ … له في طريقٍ حين يسلكهُ مِثلاَ
وكلُّ سفيه طائشٍ إن فقدْتَه … وجدتَ له في كلِّ ناحيةِ عِدلاَ

(ط أ، ص ١٤٩ وط ب، ص ٢١١).

(د) (ب) ١- ٧- قال صالح بن عبد القدوس (انظر رقم (د) (أ) ٢٩- سابقًا):
شر الإخوان من كانت مودّته مع الزمان إذا أقبل، فإذا أدبر الزمان أدبر عنك. فأخذ هذا المعنى الشاعر فقال:

شرُّ الأخلاَّءِ من كانت مودَّتهُ … مع الزمانِ إذا ما خاف أو رغبا
إذا وتَرْتَ امرأً فاحذر عداوتهُ … مَنْ يزرع الشَّوكَ لا يحصد به عنبا
إنَّ العدوَّ وإن أبدى مُسالمةً … إذا رأى منكَ يومًا فُرصةً وثبا

(ط ب، ص ٢١٧).

(د) (ب) ١- ٨- قال بعض الحكماء: على قدر المغارس يكون اجتناء الغارس، فأخذه بعض الشعراء فقال عن جحود الناس:

لعمرك ما المعروف في غير أهْلِه	**وفي أهله إلا كبعض الودائع**
فمستودَعٌ ضاع الذى كان عنده	**ومستودَعٌ ما عنده غير ضائع**
وما الناسُ في شكر الصنيعة عندهم	**وفي كُفرها إلا كبعض المزارع**
فمزرعةٌ طابتْ وأضعف نبْتُها	**ومزرعة أكدتْ على كل زارعِ**

(ط أ، ص ١٨٣ ط ب، ص ٢٥٠).

(د) (ب) ٢- بدائع الزهور في وقائع الدهور. لمحمد بن أحمد بن إياس الحنفى المصرى.
كتاب الشعب (رقم ٩٣: ٢٨٩/٣، ورقم ٩٦: ٤٢٢/٤، ورقم ١٠٥: ٦٢١/٦، ٦٨٥، ورقم ١١٣: ٧٠٩/٧، ٧١١، ٧١٧، ورقم ١١٧: ٩١/٨).

(د) (ب) ٢- ١- قيل في المنافقين من الناس:

لقد ضرَّنى من كنت أرجو به نفعًا	**وقد ساءنى أفعاله خِلتُها أفْعَى**
إذا ما بدا لى ضاحكًا زِدْتُ خيفةً	**وفي ضحكة الأفعى فلا تأمنِ اللسْعَا**

(كتاب الشعب رقم ٩٣: ٢٨٩/٣).

(د) (ب) ٢- ٢- قيل في كيفية التعامل مع الناس ومسايرتهم:

وإذا كنت بالمدارك غرًا	**ثم أبصرت حاذقًا لا تُماري**
وإذا لم تر الهلال فسلِّم	**لأناسٍ رأوه بالأبصارِ**

(كتاب الشعب رقم ٩٦: ٤٢٢/٤).

(د) (ب) ٢- ٣- قيل في طبائع الناس وكيفية التعامل معهم:

لقاء أكثر من يلقاك أوزار	**فلا تُبالى أصدُّوا عنك أو زاروا**
أخلاقهم حين تبلوهم أوعار	**وفعلهم مأثم للمرء أو عارُ**
لهم لديك إذا جاءوك أوطار	**إذا قضوها تنحوا عنك أو طاروا**

(كتاب الشعب رقم ١٠٥: ٦٢١/٦).

(د) (ب) ٢- ٤- قيل في الناس والدنيا:

تنافس الناس في الدنيا وقد عظمت فصفُوها لك ممزوج بتكدير
لم يُرزقوها بسعى عندما قُسمت لكنما رزقوها بالمقادير
لو كان عن طلب بالسعى ندركها طار البزاة بأرزاق العصافير

(كتاب الشعب رقم ١٠٥ : ٦٨٥/٦).

(د) (ب) ٢- ٥- وقيل في التحذير من الناس:

من لا تجانسه احذر تجالسه فالشمعُ آفته من صحبة الفتل

(كتاب الشعب رقم ١١٣ : ٧٠٩/٧).

(د) (ب) ٢- ٦- وقيل في طريقة التعامل مع اللئام من الناس:

إذا ما اللئيم رَقَا رتبةً تملَّقْ له وانتظر وَضْعَها
وقبِّل يديه إذا مدَّها إذا كنت لم تستطع قطعها

(كتاب الشعب رقم ١١٣ : ٧١١/٧).

(د) (ب) ٢- ٧- وقيل في طبائع الناس والحذر منهم:

ربما يرجو الفتى نفع فتى خوفه أوْلى به من أمله
رُبَّ من ترجو به دفع الأذى سوف يأتيك الأذى من قِبَلِه

(كتاب الشعب رقم ١١٣ : ٧١٧/٧).

(د) (ب) ٢- ٨- وقيل في الصبر على شرور الناس:

اصبر على مضض العدوّ فإن صبرك قاتلُهْ
النار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

(كتاب الشعب رقم ١١٧ : ٩١٠/٨).

(د) (ب) ٣- الفخرى في الآداب السلطانية لمحمد بن على بن طباطبا المعروف بابن الطقطقى راجعها ونقّحها محمد عوض (بك) إبراهيم، والشيخ على الجارم/٢٥).

ما أحسن قول القائل في الصفح عن الناس والغفران والتناسي:

اقبل من الناس ما تيسّر ... ودَعْ من الناس ما تعسَّرْ
فإنما الناس من زجاج ... إنْ لم ترفقْ به تكسَّرْ

(د) (ب) ٤- في علمي العروض والقافية للدكتور أمين على السيد/ ١٣٩، ٢٠٦.

(د) (ب) ٤- ١- قيل في الضيق بالناس وأخلاقهم:

برمتُ بالناس وأخلاقِهِمْ ... فصرتُ أستأنسُ بالوحدة

(ص ١٣٩).

(د) (ب) ٤- ٢- وعن الناس في زمن انقلبت فيه الأوضاع:

دهرٌ علاَ قدرُ الوضيع بِهِ ... وغدا الشريفُ يحطُّه شرفُهْ
كالبحر يرسبُ فيه لؤلؤهُ ... سُفلًا وتطفو فوقه جيفُهْ

(ص ٢٠٦).

(د) (ب) ٥- لسان العرب لابن منظور دار المعارف القاهرة ١٩٧٩ م (٣٠٩/٤، و٨٤١/١٠، و١٤٩٣/١٧، و١٦٧٩/١٩، و٤٨٤٤/٥٣).

(د) (ب) ٥- ١- عن أصناف الناس قال الليث في مادة «بعد»: يقال هو أبعد وأبْعدون، وأقرب وأقربون، وأباعد وأقارب، وأنشد:

من الناس من يغشى الأباعدَ نفعُهُ ... ويشقى به حتى الممات أقارِبُهْ
فإن يكُ خيرًا فالبعيدُ ينالُهُ ... وإن يكُ شرًّا فابن عمِّك صاحِبُهْ

(٣٠٩/٤).

(د) (ب) ٥- ٢- عن طبائع الناس وشرورهم.

جاء في اللسان: أحرقنا فلان: برّح بنا وآذانا، قال:

أحرقني الناس بتكْلِفِهِمْ ... ما لقي الناسُ من الناسِ ؟

(٨٤١/١٠).

(د) (ب) ٥- ٣- وعن طبائع الناس روى ابن الأعرابى هذين البيتين، ولم يُسَمِّ قائلهما، وهما:

ولقد بَلَوتُ الناسَ في حالاتهم وعلمتُ ما فيهم من الأسبابِ
فإذا القرابةُ لا تقرِّبُ قاطعًا وإذا المودةُ أقرب الأنسابِ

(١٤٩٣/١٧).

(د) (ب) ٥- ٤- وعن طبائع الناس أيضًا:

إذا مالت الدنيا على المرء رغَّبتْ إليه ومال الناسُ حيث يميل

(١٦٧٩/١٩).

(د) (ب) ٥- ٥- وعن جشع الناس وبخلهم أنشد ثعلب:

ولو سُئل الناسُ التراب لأَوْشَكُوا إذا قيل: هاتوا أن يَمَلُّوا ويمنعوا

(٤٨٤٤/٥٣).

(د) (ب) ٦- اللطائف والظرائف للثعالبى (دار المناهل «بيروت «الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م/١٢٥، ١٢٦، ١٤٨، ١٥٠).

(د) (ب) ٦- ١- في مدح العزلة عن الناس قال الشاعر:

كُن لقعر البيت حِلْسا وارض بالوحدة أُنسا
لست بالواجد خِلاً أو تردُ اليوم أمْسا

(ص ١٢٥).

(د) (ب) ٦- ٢- وفي ذم الناس والتحذير من شرهم قال بعضهم:

الناسُ داءٌ دفينٌ لا تركَنَنَّ إليهمْ
فيهم خداعٌ ومكرٌ لو اطَّلعتَ عليهمْ

(ص ١٢٦).

(د) (ب) ٦- ٣- وعن طبائع الناس ممثلة في الإخوان وجحودهم قال بعضهم:

وأنت أخي مالم تكن لي حاجة ... فإن عرضت أيقنتُ أن لا أخا ليا

(ص ١٤٨).

(د) (ب) ٦- ٤- وقال آخر:

آخِ من شئت ثم رُمْ منه شيئًا ... تلقى من دون ما أردتَ الثُّريا

(ص ١٤٩).

(د) (ب) ٦- ٥- وقال الشاعر في التحذير من الصديق:

احذر عدوَّكَ مرةً ... واحذر صديقك ألفَ مرهْ
فلربما انقلب الصديـ ... ـقُ فكان أخبرَ بالمضَرَّهْ

(ص ١٤٩، ومعجم الأبيات الشهيرة/٩٧).

(د) (ب) ٦- ٦- وقال آخر:

ألا إن إخواني الذين عهدتُهمْ ... أفاعي رمالٍ ما تقصّر في لسْعِي
ظننتُ بهم خيرًا فلما بلوتُهُمْ ... حللتُ بوادٍ منهم غير ذي زرع

(جاء في هامش (١) ص ١٤٩، ١٥٠، ما يلي: نسبه إلى الخباز البلدي في خاص الخاص ص ١٤٢ وهو أبو بكر محمد بن أحمد بن حمدان من بلدة يُقال لها بلد. كان أمّيًّا من شعراء اليتيمة ٢٠٨/٢).

(د) (ب) ٦- ٧- ولبعضهم:

صديقٌ يفدّينا إذا كان حاضرًا ... ويوسِعُنا في حال غيبته لسْعا
له لطفُ قَولٍ دونه كلُّ رُقْيةٍ ... ولكنه في فعْلِه حيَّةٌ تسعى

(ص ١٥٠).

(د) (ب) ٧- معجم الأبيات الشهيرة لحسن نمر دندشى (ص ٣٢، ٦٩، ١١٤، ١٢٨).

(د) (ب) ٧- ١- عن طبائع الناس قال الشاعر:

رأيت الناسَ قد ذهبوا إلى من عندهُ ذَهَبُ
ومن لا عنده ذهبٌ فعنْهُ الناسُ قد ذهبوا

(ص ٣٢).

جاء في هامش (١): (للبيتين شهرة بديعية).

(د) (ب) ٧- ٢- وعن تغير الناس بتغير الزمان، قال الشاعر:

بلادٌ بها كُنَّا، وكُنَّا نحبُّها إذ الناسُ ناسٌ، والبلادُ بلادُ

(ص ٦٩).

(د) (ب) ٧- ٣- وعن أصناف الناس قال الشاعر:

في الناس مَنْ لا يُرتجى نفعه إلاّ إذا مُسَّ بإضرارِ
كالعود لا يُطمع في ريحه إلاّ إذا أُحرق بالنارِ

(ص ١١٤).

(د) (ب) ٧- ٤- وعن النهى عن الإضرار بالناس قال الشاعر:

كن كيف شئتَ فإن الله ذو كرم وما عليكَ، إذا أذنبت، من باسِ
إلا اثنتين فلا تقربهما أبدًا الشّرك بالله، والإضرار بالناسِ

(ص ١٢٨).

(هـ) الناس فى مصنفات التراث.

(هـ) ١- النص الأول: إنى مهاجر إلى ربى لابن قيم الجوزية (ص ٧٧-١٠٠)

فى الآية رقم ٣٢ من سورة فاطر قسّم الله تعالى الناس إلى أقسام ثلاثة فقال جلّ شأنه ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾

صدق الله العظيم

وعن هذه الآية الكريمة يدور بحث ابن القيم فى كتابه «إنى مهاجر إلى ربى» ونسوقه فيما يلى:

قال رحمه الله تحت عنوان «قاعدة نافعة»:

العبد من حين استقرت قدمه فى هذه الدار، فهو مسافر فيها إلى ربه. ومدة سفره هى عمره الذى كتب له. فالعمر هو مدة سفر الإنسان فى هذه الدار إلى ربه. ثم قد جعلت الأيام والليالى مراحل لسفره: فكل يوم وليلة مرحلة من المراحل، فلا يزال يطويها مرحلة بعد مرحلة حتى ينتهى السفر.

فالكيّس الفَطِن هو الذى يجعل كل مرحلة نصب عينيه فيهتم بقطعها سالمًا غانمًا، فإذا قطعها جعل الأخرى نصب عينيه.

ثم الناس فى قطع هذه المراحل قسمان: فقسم قطعوها مسافرين فيها إلى دار الشقاء، فكلما قطعوا منها مرحلة، قربوا من تلك الدار، وبعدوا عن ربهم وعن دار كرامته، فقطعوا تلك المراحل بمساخط الرب ومعاداة رسله وأوليائه ودينه، والسعى فى إطفاء نوره وإبطال دعوته وإقامة دعوة غيرها، فهؤلاء جعلت أيامهم يسافرون فيها إلى الدار التى خُلقوا لها واستعملوا بها، فهم مصحوبون فيها بالشياطين الموكلة بهم يسوقونهم إلى منازلهم سوقا كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ مريم:٨٣ أى تزعجهم إلى المعاصى والكفر إزعاجًا وتسوقهم سوقًا.

القسم الثانى: قطعوا تلك المراحل سائرين فيها إلى الله وإلى دار السلام وهم ثلاثة أقسام: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات بإذن الله.

وهؤلاء كلهم مستعدون للسير موقنون بالرجعى إلى الله، ولكن متفاوتون في التزود وتعبئة الزاد واختياره.

فالظالم لنفسه مقصر في الزاد غير آخذ منه ما يبلغه المنزل لا في قدره ولا في صفته، بل مفرط في زاده الذى ينبغى له أن يتزوده.

ومع ذلك فهو متزود ما يتأذى به في طريقه، ويجد غب أذاه إذا وصل المنزل بحسب ما تزود من ذلك المؤذى الضار.

والمقتصد اقتصر من الزاد على ما يبلغه، ولم يشد مع ذلك أعمال التجارة الرابحة، ولم يتزود ما يضره، فهو سالم غانم لكن فاتته المتاجر الرابحة وأنواع المكاسب الفاخرة. والسابق بالخيرات همه في تحصيل الأرباح، وشد أحمال التجارات، لعله بمقدار الربح الحاصل، فيرى خسرانا أن يدخر شيئًا مما بيده ولا يتجر به، فيجد ربحه يوم يغتبط التجار بأرباح تجاراتهم.

فهو كرجل قد علم أن أمامه بلدة، الدرهم يكسب فيها عشرة، إلى سبعمائة وأكثر، وعنده حاصل، وله خبرة بطريق ذلك البلد وخبرة بالتجارة، فهو لو أمكنه بيع ثيابه وكل ما يملك حتى يهيئ به تجارة إلى ذلك البلد لفعل.

فهكذا حال السابق بالخيرات بإذن الله: يرى خسرانًا بينًا أن يمر عليه وقت في غير متجره.

فنذكر بعون الله وفضله نبذة من متاجر الأقسام الثلاثة ليعلم العبد من أى التجار هو:

فأما الظالم لنفسه: فإنه إذا استقبل مرحلة يومه وليلته استقبلها. وقد سبقت حظوظه وشهواته إلى قلبه فحركت جوارحه طالبًا لها، فإذا زاحمها حقوق ربه فتارة وتارة، فمرة يأخذ بالرخصة ومرة بالعزيمة، ومرة يقدم على الذنب وترك الحق تهاونًا ووعدًا بالتوبة، فهذا حال الظالم لنفسه مع حفظ التوحيد والإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر، والتصديق بالثواب والعقاب. فمرحلة هذا مقطوعة

بالربح والخسران وهو للأغلب منهما. فإذا ورد القيامة ميز ربحه من خسرانه، وحصل ربحه وحده، وكان الحكم للراجح منهما، وحكم الله من وراء ذلك لا يعدم منه فضله وعدله.

وأما المقتصدون: فأدوا وظيفة تلك المرحلة ولم يزيدوا عليها ولا نقصوا منها، فلا حصلوا على أرباح التجار ولا بخسوا الحق الذى عليهم. فإذا استقبل أحدهم مرحلة يومه استقبلها بالطهور التام والصلاة التامة في وقتها بأركانها وشرائطها، ثم ينصرف منها إلى معيشته وتصرفاته التى أذن الله فيها مشتغلا بها قائما بأعيانها مؤديًا واجب الرب فيها، غير متفرغ لنوافل العبادات وأوراد الأذكار والتوجه، فإذا حضرت الفريضة الأخرى بادر إليها كذلك، فإذا أكملها انصرف إلى حاله فهو كذلك سائر يومه، فإذا جاء الليل فكذلك إلى حين النوم يأخذ مضجعه حتى ينشق الفجر، فيقوم إلى غذائه ووظيفته، فإذا جاء الصوم الواجب قام بحقه، وكذلك الزكاة الواجبة والحج الواجب، وكذلك المعاملة مع الخلق يقوم فيها بالقسط، ولا يَظلم ولا يَترك حقه لهم.

وأما السابقون بالخيرات فهم نوعان: أبرار ومقربون: وهؤلاء الأصناف الثلاثة هم: أهل اليمين، وهم المقتصدون والأبرار والمقربون. وأما الظالم لنفسه فليس من أصحاب اليمين على الإطلاق، وإن كان مآله إلى أصحاب اليمين، كما أنه لا يسمى مؤمنًا عند الإطلاق، وإن كان مصيره ومآله مصير المؤمنين بعد أخذ الحق منه. وقد اختلف في قوله: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ ﴾ فاطر:٣٣ هل ذلك راجع إلى الأصناف الثلاثة:

الظالم لنفسه، والمقتصد، والسابق بالخيرات، أو يختص بالقسمين الأخيرين وهما المقتصد والسابق دون الظالم، على قولين: فذهبت طائفة إلى أن الأصناف الثلاثة كلهم في الجنة.

وهذا يروى عن ابن مسعود وابن عباس وأبى سعيد الخدرى وعائشة أم المؤمنين. قال أبو إسحاق السبيعى: أما الذى سمعت منذ ستين سنة فكلهم ناجٍ.

قال أبو داود الطائي: أنبأنا الصلت بن دينار حدثنا عقبة بن صهبان الهنائي قال: سألتُ عائشة عن قول الله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ فاطر:٣٢ فقالت لي: يا بني، كل هؤلاء في الجنة، فأما السابق بالخيرات: فمن مضى على عهد رسول الله ﷺ يشهد له رسول الله بالخيرة والرزق، وأما المقتصد: فمن تبع أثره من أصحابه حتى لحق به. وأما الظالم لنفسه: فمثلي ومثلك. قال: فجعلت نفسها معنا. وقال ابن مسعود: «هذه الأمة يوم القيامة أثلاث: ثلث يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث يحاسبون حسابًا يسيرًا ثم يدخلون الجنة، وثلث يجيئون بذنوب عظام فيقول الله: ما هؤلاء؟ وهو أعلم بهم، فتقول الملائكة: هم مذنبون، إلا أنهم لم يشركوا، فيقول الله: أدخلوهم في سعة رحمتي». وقال كعب: «تحاذت مناكبهم ورب الكعبة، وتفاضلوا بأعمالهم». وقال الحسن: «السابقون من رجحت حسناتهم، والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته، والظالم من خفت موازينه».

واحتجت هذه الفرقة بأنه سبحانه سمَّى الكُل مصطفين. وأخبر أنه اصطفاهم من جملة العباد، ومحال أن يكون الكافر والمشرك من المصطفين، لأن الاصطفاء هو الاختيار، وهو الافتعال من صفوة الشيء وهو خياره، فعلم أن هؤلاء الأصناف الثلاثة صفوة الخلق، وبعضهم خير من بعض: فسابقهم مصطفى عليهم، ثم مقتصدهم مصطفى على ظالمهم، ثم ظالمهم مصطفى على الكافر والمشرك.

واحتجت أيضًا بآثار روتها تؤيد ما ذهبت إليه: فمنها ما رواه سليمان الشاذكوني، حدثنا حصين بن بهز، عن ابن أبي ليلى، عن أخيه، عن أبيه، عن أسامة بن زيد، عن النبي ﷺ في هذه الآية قال: (كلهم في الجنة).

ومنها ما رواه ابن لهيعة عن أبي جعفر عن يونس بن عبد الرحمن عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ إلى قوله: ﴿سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ فاطر:٣٢ قال: فأما السابقون فيدخلون الجنة بغير حساب، وأما المقتصد فيحاسب حسابًا يسيرا، وأما الظالمون فيحاسبون فيصيبهم عناء وكرب ثم يدخلون الجنة ثم يقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ فاطر:٣٤.

ومنها ما رواه الحميدى حدثنا سفيان حدثنا طعيمة بن عمرو الجعفرى عن رجل. قال: قال أبو الدرداء لرجل: ألا أحدثك بحديث أخصك به لم أحدث به أحدا؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد» الآية إلى قوله «جنات عدن»، قال: دخلوا الجنة جميعًا.

واحتجت هذه الفرقة أيضًا بالآيات والأحاديث التى تشهد بنجاة الموحدين من أهل الكبائر ودخولهم الجنة.

واحتجت أيضًا: بأن ظلم النفس إنما يراد به ظلمها بالذنوب والمعاصى.

فإن الظلم ثلاثة أنواع: ظلم في حق النفس باتباعها شهواتها، وإيثارها لها على طاعة ربها، وظلم في حق الخلق بالعدوان عليهم ومنعهم حقوقهم، وظلم في حق الرب بالشرك به.

فظلم النفس إنما هو بالمعاصى، وقد تواترت النصوص بأن العصاة من الموحدين مآلهم إلى الجنة.

وقالت طائفة: بل الوعد بالجنات هو للمقتصد والسابق دون الظالم لنفسه؛ فإن الظالم لا يدخل تحت الوعد المطلق، والظالم لنفسه هنا هو الكافر والمقتصد المؤمن العاصى والسابق المؤمن التقى.

وهذا يروى عن عكرمة والحسن وقتادة وهو اختيار جماعة من المفسرين منهم صاحب الكشاف ومنذر بن سعيد في تفسيره والرمانى وغيرهم، قالوا: وهذه الآية متناولة لجميع أقسام الخلق شقيهم وسعيدهم، وهى نظير آية قوله: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠)﴾ (الواقعة) قالوا. فأصحاب الميمنة هم المقتصدون، وأصحاب المشئمة الظالمون لأنفسهم، والسابقون السابقون هم السابقون بالخيرات. وقالوا: ولم يصطف الله من خلقه ظالمًا لنفسه، بل المصطفون من عباده هم صفوته وخيارهم، والظالمون لأنفسهم ليسوا خيار العباد بل شرارهم، فكيف يوقع عليهم اسم المصطفين ويتناولهم فعل الاصطفاء؟ قالوا: وأيضًا صفوة

الله هم أحباؤه، والله لا يحب الظالمين، فلا يكونون مصطفين. قالوا: ولأن الظالم لنفسه وإن كان ممن أورث الكتاب، فهو بتركه العمل بما فيه قد ظلم نفسه.

والله سبحانه إنما اصطفى من عباده، قالوا: ولأن الاصطفاء افتعال من صفوة الشيء وهو خلاصته ولُبُّه وأصله اصتفى فأبدلت التاء طاء لوقوعها بعد الصاد كالاصطباح والاصطلام ونحوه، والظالم لنفسه ليس صفوة العباد ولا خلاصتهم ولا لبّهم فلا يكون مصطفى، قالوا: ولأن الله سلّم على المصطفين من عباده فقال: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ النمل:٥٩ وهذا يقتضى سلامتهم من كل شر وكل عذاب، والظالم لنفسه غير سالم من هذا ولا هذا، فكيف يكون من المصطفين؟ قالوا: وأيضًا فطريقة القرآن أن الوعد المطلق بالثواب إنما يكون للمتقين لا للظالمين. كقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ مريم:٦٣ فأين الظالم لنفسه هنا؟ وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ الفرقان:١٥ وقوله تعالى: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ آل عمران:١٣٣، والقرآن مملوء من هذا، ولم يجئ فيه موضع واحد بإطلاق الوعد بالثواب للظالم لنفسه أصلا قالوا: وأيضًا فلم يجئ في القرآن ذكر الظالم لنفسه إلا في معرض الوعيد لا الوعد، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾ الزخرف :٧٤، ٧٦، وقوله: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ النحل:١١٨ قالوا: وأيضًا فالظالم لنفسه هو الذى خفت موازينه ورجحت سيئاته، والقرآن كله يدل على خسارته وأنه غير ناج كقوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ الأعراف:٨، ٩.

فإن جنات الفردوس أربع كما ثبت في الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال: «جنتان من ذهب آنيتهما وحليتهما وما فيهما. وجنتان من فضة آنيتهما وحليتهما

وما فيهما. وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن».

ومعلوم أن الجنتين الذهبيتين أعلى وأفضل من الفضيتين، فإذا كانت الجنتان الذهبيتان للظالمين لأنفسهم فمن يسكن الجنتين الفضيتين ؟ فعلم أن هذه الجنات المذكورة لا تتناول الظالمين لأنفسهم. قالوا أيضًا فإن أقرب المذكورات إلى ضمير الداخلين، هم السابقون بالخيرات فوجب اختصاصهم بالدخول إلى الجنات المذكورات. قالوا: وفي اختصاصهم بعد ذكر الأقسام بذكر ثوابهم والسكوت عن الآخرين. ما هو معلوم من طريقة القرآن، إذ يصرح بذكر ثواب الأبرار، والمتقين والمخلصين والمحسنين، ومن رجحت حسناتهم، وبذكر عقاب الكفار والظالمين لأنفسهم، ومن خفت موازينهم، ويسكت عن القسم الذى فيه شائبتان وله مادتان، هذه طريقة القرآن كقوله: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ الانفطار:١٣، ١٤ وهذا كثير في القرآن.

قالوا: وفي السكوت عن شأن صاحب الشائبتين تحذير عظيم وتخويف له، بأن أمره مرجأ إلى الله، وليس عليه ضمان، ولا له عنده وعد، وليحذر كل الحذر، وليبادر بالتوبة النصوح التى تلحقه بالمضمون لهم النجاة والفلاح.

قالوا: أيضًا فمن المحال أن يقع على أحد من المصطفين اسم الظلم مطلقًا، وإنما يقع اسم الظلم مطلقًا على الكفار، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ البقرة:٢٥٤.

وقال: ﴿ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الأنبياء:٢٩.

فذكر أنواع العباد وجزاءهم. قالوا: أيضًا فهذه طريقة القرآن في ذكر أصناف الخلق الثلاثة: كما ذكرهم الله تعالى في سورة الواقعة، والمطففين وسورة الإنسان، فأما

سورة الواقعة فذكرهم في أولها وفي آخرها فقال في أولها: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ الواقعة:٧-١٢. فأصحاب المشأمة هم الظالمون. وأما أصحاب اليمين فقسمان: أبرار وهم أصحاب الميمنة، والسابقون وهم المقربون. وفي آخرها: ﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ ﴾ الواقعة: ٨٨-٩٤. فذكر حالهم في القيامة الكبرى في أول السورة، ثم ذكر حالهم في القيامة الصغرى في البرزخ، في آخر السورة، ولهذا قدم قبله ذكر الموت ومفارقة الروح فقال: ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ الواقعة:٨٣-٨٧، ثم قال: ﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ إلى آخرها، وأما في أولها فذكر أقسام الخلق عقب قوله: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ ﴾ الواقعة: ١-٧

وأما سورة الإنسان فقال: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ ﴾ الإنسان:٤، فهؤلاء الظالمون أصحاب المشأمة، ثم قال: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ ﴾ الإنسان:٥ فهؤلاء المقتصدون أصحاب اليمين، ثم قال: ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ ﴾ الإنسان:٦ فهؤلاء المقربون السابقون، ولهذا خصهم بالإضافة إليه، وأخبرهم أنهم يشربون بتلك العين صرفًا محضًا، وأنها تمزج للأبرار مزجًا كما قال في سورة المطففين في شراب الأبرار: ﴿ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ المطففين:٢٧، ٢٨، وقال: ﴿ يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾ ولم يقل (منها) إشعارًا بأن شربهم بالعين نفسها خالصة لا بها وبغيرها، فضمّن ﴿يَشْرَبُ﴾ معنى يروى، فعدّى بالباء، وهذا ألطف مأخذا وأحسن معنى من أن يجعل الباء بمعنى من ويضمّن

﴿يَشْرَبُ﴾ الفعل معنى فعل آخر فيتعدى تعديته، وهذه طريقة الحذاق من النحاة وهى طريقة سيبويه وأئمة أصحابه، وقال في الأبرار: ﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾﴾ الإنسان:٥ لأن شرب المقربين لما كان أكمل استعير له الباء الدالة على شرب الرى بالعين خالصة.

ودلالة القرآن ألطف وأبلغ من أن يحيط بها البشر. وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾﴾ المطففين: ٧-٩ إلى قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾ المطففين:١٥.١٧. فهؤلاء الظالمون أصحاب الشمال، ثم قال: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾﴾ المطففين: ١٨-١٩. فهؤلاء الأبرار المقتصدون. وأخبر أن المقربين يشهدون كتابهم أى يكتب بحضرتهم ومشهدهم لايغيبون عنه، اعتناء به وإظهارًا لكرامة صاحبه ومنزلته عند ربه.

ثم ذكر سبحانه نعيم الأبرار ومجالستهم ونظرهم إلى ربهم، وظهور نظرة النعيم في وجوههم، ثم ذكر شرابهم فقال: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ المطففين:٢٥، ٢٦. ثم قال: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ المطففين:٢٧، ٢٨ والتسنيم أعلى أشربة الجنة، فأخبر سبحانه أن مزاج شراب الأبرار من التسنيم، وأن المقربين يشربون منه بلا مزاج، ولهذا قال: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ المطففين:٢٨. كما قال تعالى في سورة الإنسان سواء.

قال ابن عباس وغيره يشرب بها المقربون صرفًا، ويمزج لأصحاب اليمين مزجًا. وهذا لأن الجزاء وفاق العمل، فكلما خلصت أعمال المقربين خلص شرابهم، وكما مزج الأبرار الطاعات بالمباحات مزج لهم شرابهم، فمن أخلص أخلص شرابه، ومن مزج مزج شرابه.

يا لاهيا في غمرة الجهل والهوى ... صريعًا على فرش الردى يتقلب

تأمل هداك الله ما ثم وانتبه ... فهذا شراب القوم حقا يركب

وتركيبة في هذه الدار إن تفت ... فليس له بعد المنية مطلب

فيا عجب من معرض عن حياته ... وعن حظه العالى ويلهو ويلعب

ولو علم المحروم أى بضاعة ... أضاع لأمسى قلبه يتلهب

فإن كان لا يدرى فتلك مصيبة ... وإن كان يدرى فالمصيبة أصعب

بلى يدرى حين ينكشف الغطا ... ويصبح مصلوبًا ينوح ويندب

ويعجب ممن باع شيئًا بدون ما ... يساوى بلا علم وأمرك أعجب

لأنك قد بعت الحياة وطيبها ... بلذة حلم عن قليل سيذهب

فهلا عكست الأمر إن كنت حازمًا ... ولكن أضعت الحزم والحكم يغلب

تصد وتنأى عن حبيبك دائمًا ... فأين عن الأحباب ويحك تذهب

ستعلم يوم الحشر أى تجارة ... أضعت إذا تلك الموازين تُنْصب

قالوا: فهكذا هذه الآيات التى في سورة الملائكة (فاطر)، ذكر فيها الأقسام الثلاثة: الظالم لنفسه وهو من أصحاب الشمال، وذكر المقتصد وهو من أصحاب اليمين، وذكر السابقين وهم المقربون.

قالوا: وليس في الآية ما يدل على اختصاص الكتاب بالقرآن والمصطفين بهذه الأمة، بل الكتاب اسم جنس للكتب التى أنزلها على رسله، فإنه أورثها المصطفين من عباده من كل أمة، والأنبياء هم الذين أورثوه أولا، ثم أورثوه المصطفين في أممهم بعدهم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ (٥٣) هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ (٥٤) ﴾ غافر:٥٣، ٥٤. فأخبر أنه يكون هدى وذكرى لمن له لب عقل به الكتاب وعمل بما فيه، والعامل بما فيه هو الذى أورثه الله علمه.

وتأمل قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ (١٤)﴾ الشورى:١٤، كيف حذف الفاعل هنا وبنى الفعل للمفعول لما كان في

معرض الذم لهم ونفى العلم عنها، ولما كان في سياق ذكر نعمه وآلائه ومنته عليهم: ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾﴾ غافر:٥٣، ونظير هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ فاطر:٣٢، ومن ذلك قوله: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾ الأعراف:١٦٩ وأنه لما كان الكلام في سياق ذمهم على اتباعهم شهواتهم وإيثارهم العرض الفانى على حظهم من الآخرة وتماديهم في ذلك لم ينسب التوريث إليه بل نسبه إلى المحل فقال: ﴿أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الشورى:١٤، ولم يقل أورثناهم الكتاب.

وقد ذكرت نظير هذا في قوله: ﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أنه للمدح، وأورثوا الكتاب إما في سياق الذم، وإما منقسم في الكتاب «التحفة المكية». والمقصود أن الذين أورثهم الكتاب هم المصطفون في عباده أولاً وآخراً، قالوا: وقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ لا يرجع إلى المصطفين. بل إما أن يكون الكلام قد تم عند قوله: ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾ ثم استأنف جملة أخرى، وذكر فيها أقسام العباد وأنهم منهم ظالم ومنهم مقتصد ومنهم سابق، ويكون الكلام جملتين مستقلتين: بيّن في إحداهما أنه أورث كتابه من اصطفاه من عباده، وبيّن في الأخرى أن من عباده ظالمًا ومقتصدًا وسابقًا. وإما أن يكون المعنى تقسيم المرسل إليهم بالنسبة إلى قبول الكتاب، وأن منهم من لم يقبله وهو الظالم لنفسه، ومنهم من قبله مقتصدًا فيه، ومنهم من قبله سابقًا بالخيرات بإذن الله.

قالوا: والذى يدل على هذا الوجه أنه سبحانه ذكر إرساله في كل أمة نذيرًا ممن تقدم هذه الأمة فقال: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ فاطر:٢٤. ثم ذكر أن رسلهم جاءتهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير، الآيات الدالة على صدقهم وصحة رسالتهم، والزبر الكتاب واحدها زبور بمعنى مزبور أى مكتوب، والكتاب المنير من باب عطف الخاص على العام لتميزه عن المسمى العام بفضله وشرفه امتاز بها واختص بها عن غيره. وهو كعطف جبريل وميكال على الملائكة، وكعطف أولى العزم على النبيين من قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ

وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾ الأحزاب:٧، والكتاب المنير ههنا التوراة والإنجيل. ثم ذكر إهلاك المكذبين لكتابه ورسله فقال: ﴿ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ ﴾ فاطر:٢٦

ثم ذكر التالين لكتابه وهم المتبعون له العاملون بشرائعه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ فاطر ٢٩، ٣٠. ثم ذكر الكتاب الذى خص به خاتم أنبيائه ورسله محمد فقال: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ﴾ فاطر:٣١.

ثم ذكر من أورثهم الكتاب بعد أولئك وأنه اصطفاهم لتوريث كتابه إذ رده المكذبون ولم يقبلوا توريثه. قالوا: وأما قولكم إن الاصطفاء افتعال من الصفوة وهى الخيار، وهى إنما تكون في السعداء، فهذا بعينه حجة لنا في أن الظالم لنفسه ليس ممن اصطفاه الله من عباده وقد تقدم تقريره.

قالوا: وأما الآثار التى رويتموها عن النبى ﷺ في ذلك فكلها ضعيفة الأسانيد ومنقطعة لا تثبت، كيف وهى معارضة بآثار مثلها أو أقوى منها، قال ابن مردويه في تفسيره: حدثنا الحسن بن عبد الله، حدثنا صالح بن أحمد، حدثنا أحمد بن المعلى الأدمى، حدثنا حفص بن عمار، حدثنا مبارك بن فضالة، عن عبيد الله ابن عمر، عن النبى ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ ﴾ قال: الكافر: قالوا: وأما النصوص الدالة على أن أهل التوحيد يدخلون الجنة فصحيحة لا ننازعكم فيها، غير أنها مطلقة ولها شروط وموانع، كما أن النصوص الدالة على عذاب أهل الكبائر صحيحة متواترة، ولها شروط وموانع يتوقف لحوق الوعيد عليها، فكذلك نصوص الوعد يتوقف مقتضاها على شروطها وانتفاء موانعها.

قالوا: وأما قولكم: إن ظلم النفس إنما يراد به ظلمها بالذنوب والمعاصى دون الكفر فليس بصحيح. فقد ذكر في القرآن ما يدل على أن ظلم النفس يكون بالكفر

والشرك، ولو لم يكن في هذا إلا قول موسى: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾ البقرة: ٥٤، وقوله عز وجل: ﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ سبأ: ١٩ ونظائره كثيره.

• **قالت الطائفة الأولى:** لو تدبرتم القرآن حق تدبره، وأعطيتم الآيات حقها من الفهم، وراعيتم وجوهه الدالة وسياق الكلام، لعلمتم أن الصواب معنا، وأن هذا التقسيم الذى دلت عليه أخص من التقسيم المذكور في سورة الواقعة والإنسان والمطففين، فإن ذلك تقسيم للناس إلى شقيٍّ وسعيد، وتقسيم السعداء إلى أبرار ومقربين، وتلك القسمة خالية عن ذكر العاصى الظالم لنفسه.

وأما هذه الآيات ففيها تقسيم الأمة إلى محسن ومسيء، فالمسيء هو الظالم لنفسه، والمحسن نوعان مقتصد، وسابق بالخيرات، فإن الوجود شامل لهذا القسم، بل هو أغلب أقسام الأمة، فكيف يخلو القرآن عن ذكره وبيان حكمته.

ثم لما استوفى أقسام الأمة ذكر الخارجين عنهم وهم الذين كفروا فعمت الآية أقسام الخلق كلهم، وعلى ما ذهبتم إليه تكون الآية قد أهملت ذكر القسم الأغلب الأكبر، وكررت ذكر حكم الكافر أولًا وآخرًا: ولا ريب أن ما ذكرناه أولى لبيان هذا القسم وعموم الفائدة. وأيضًا فإن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَا﴾ صريح في أن الذين أورثهم الكتاب هم المصطفون من عباده، وقوله عز وجل: ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾. إما أن يرجع إلى الذين اصطفاهم، وإما أن يرجع إلى العباد، ورجوعه إلى الذين اصطفاهم لوجهين: أحدهما أن قوله تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ﴾ إنما يرجع إلى المصطفين لا إلى العباد، فكذلك قوله تعالى: ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾، ولا يقال، بل الضمائر كلها تعود على العباد لأن سياق الآية، والإتيان بالفاء والتقسيم المذكور كله يدل على أن المراد بيان أقسام الوارثين للكتاب لا بيان أقسام العبادة، إذ لو أراد ذلك لأتى بلفظ يزيل الوهم، ولا يلتبس به المراد بغيره، وكأن وجه الكلام على هذا أن يقال: ومن عبادنا ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات. ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا منهم، وهذا معنى

الكلام عندكم، ولا ريب أن سياق الآية لا يدل عليه، إنما يدل على أنه أورث الكتاب طائفة من عباده وأن تلك الطائفة ثلاثة أقسام، هذا وجه الكلام الذى يدل عليه ظاهره. الثانى أنك إذا قلت: أعطيت مالى البالغين من أولادى فمنهم تاجر، ومنهم خازن، ومنهم مبذر ومسرف، هل بيَّنهم من هذا أحد قط أن هذا التقسيم لجملة أولاده، بل لا يفهم منه إلا أن أولاده كانوا في أخذهم المال أقسامًا ثلاثة.

ولهذا أتى فيها بالفاء الدالة على تفصيل ما أجمله أولًا كما إذا قلت: خذ هذا المال فأعط فلانًا كذا، وأعط فلانًا كذا، ونظائره متعددة. ولا وجه للإتيان بالفاء ههنا إلا تفصيل المذكور أولًا، لا تفصيل المسكوت عنه، والآية قد سكتت عن تفصيل العباد الذين اصطفى منهم من أورثه الكتاب، فالتفصيل للمذكور ليس إلا، فتأمله فإنه واضح.

قالوا: وأما قولكم إن الله لا يصطفى من عباده ظالمًا لنفسه لأن الاصطفاء هو الاختيار من الشىء صفوته وخياره إلى آخر ما ذكرتم، فجوابه أن العبد مصطفى لله ووليًّا لله ومحبوبًا لله، ونحو ذلك من الأسماء الدالة على شرف منزلة العبد، وتقريب الله له لا ينافي ظلم العبد نفسه أحيانًا بالذنوب والمعاصى، بل أبلغ من ذلك صديقيته لا تنافي ظلمه لنفسه.

ولهذا قال صديق الأمة وخيارها للنبى ﷺ علمنى دعاء أدعو به في صلاتى فقال: «قل: اللهم إنى ظلمت نفسى ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم».

وقد قال تعالى: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ ﴾ آل عمران:١٣٣-١٣٥. وأخبر سبحانه عن صفات المتقين وأنهم يقع منهم ظلم النفس والفاحشة لكن لا يصرون على ذلك، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ الزمر:٣٣-٣٥.

فهؤلاء الصدّيقون المتقون قد أخبر سبحانه أن لهم أعمالًا سيئة يكفرها، ولا ريب أنها ظلم للنفس، وقال موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٦)﴾ القصص:١٦، وقال آدم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣)﴾ الأعراف:٢٣، وقال يونس عليه السلام: ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧)﴾ الأنبياء:٨٧، وقال تعالى: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ (١٠) إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١١)﴾ النمل:١٠، ١١.

(إنى مهاجر إلى ربى لابن قيم الجوزية/ ٧٧ ١٠٠).

(هـ) ٢- **سلوك المالك فى تدبير الممالك.** تأليف شهاب الدين أحمد بن أبى الربيع تحقيق عارف أحمد عبد الغنى (ص ٨٤، ٩١، ١١٩ ١٢٧).

يختص هذا النموذج الثانى من مصنفات التراث بكيفية التعامل مع الناس على اختلاف أصنافهم وطبقاتهم، ونسوق بعضًا مما جاء به فيما يلى:

قال ابن أبى الربيع رحمه الله:

القسم الثالث فى سيرة الإنسان مع أهل نوعه وهى ثلاثة أنواع: سيرته مع من فوقه، سيرته مع أكفائه، سيرته مع من دونه.

فأما سيرته مع من فوقه فهى على أربعة أقسام لأن الأعلى إما الآباء أو المعلمون أو الرؤساء أو الملوك، وعلى الإنسان لكل من هؤلاء خصال واجبة.

فعليه نحو الآباء: ينبغى أن يعتقد حُرمة من تولى ولادته وتربيته.

وأن يكون من حَرَسِه من الآفات حتى يبلغ ويلقاهُ بالخضوع.

يجب أن يعظّمهما ويبجلهما ويعينهما على طلباتهما.

ويُسعدهما بماله ونفسه وبدنه وجاهه.

وينبغى أن لا يخاصمهما ولو آذياه.

وينبغى أن لا يقطع عليهما حديثًا ولا يداخلهما فى كلامهما.

ويجب أن لا يظهر منهما شكوى ولا يعصيهما أمرًا.

وينبغى أن لا يجلس وهما قائمان بل بالضد.

وينبغى أن لا يستبيح خدمتهما ولا يتصدر فى مجالسهما.

وعليه نحو المعلمين:

ينبغى أن يعلم أن الوالدين سبب نشوئه.

وأن المعلمين سبب نشوء نفسه وجوهر النفس أشرف، وإن لم يزدهم على مرتبة الوالدين فلا يُنقصهم عنها، وإن لم يفعل ذلك وصف بأنه غير مستحق لما أوصلوه، ولا يجرى المعلمين كلهم مجرًى واحدًا فإنهم مختلفون، ونعنى بهم الذين

غرضهم تربية النفوس وإصلاحها، وأن ينظر إليه عند احتياج أحد منهم، وأن يقوم بقضاء حقوقهم ويبالغ في خدمتهم، وألا يكره ما يلقى منهم من الغلظة والتأديب.

وعليه نحو الرؤساء:

ينبغى أن يكون بينه وبين الرئيس ملازمة دائمة هو بصدده.

وينبغى أن يواظب على ما فوض إليه من أمره ويشكره على ذلك سرًّا وجهرًا.

ينبغى أن يمدح فعله ويحسن ما يأتيه ويكتم أحواله ظاهرًا وباطنًا.

وإذا عرض أمر مستقبح لا يعلم مسنده فلا يسنده إليه.

ويجتهد أن ينتفع بالرئيس ولا يظهر الاستغناء عنه أصلًا.

وإن لحقه ملال أو ضجر، فليحذر الشكاية والتألم وإظهار العداوة.

وليعلم أن الرئيس كالسيل المنحدر من الربوة ومتى واجهه أهلك نفسه.

وينبغى أن يُريه وجه الصلاح بالإشارة من غير أمر ولا نهى.

ويجب عليه النصح والاجتهاد له فإذا فعل ذلك استقام أمره دائمًا.

وأما سيرته مع أكفائه

وهم: إما إخوة؛ وإما أصدقاء؛ وإما أعداء؛ وإما متوسطون. فكما يأتى:

أما الإخوة: فليس جعل الاختيار في اتخاذهم إليه حتى يختار الأفضل، فالأفضل، لكنه على حسب ما يتفق له لكون ذلك إلى غيره ويجب أن يسير معهم بهذه السيرة.

وقد ذكرنا على الإنسان في باب الوالد والولد وسيرته معهم.

وأن يحسن إلى سائرهم إذا أمكنه ولا يغفل عن خدمتهم وقضاء حقوقهم.

وإن كان مساويًا له فلينزله منزلة نفسه، ومن كان صغيرًا أو دونه في العقل منزلة الولد.

ويجب أن يتخذ من كان ذا حظ وسعادة كالوالد وينزله منزلة الرئيس.

ويجب أن يخاطب كلّا منهم على قدر عقله وعمله وفضله ومحله من السلطان.

ويجب أن يحافظ على مراتب الإخوة وينزل كل واحد منهم منزلته التى يستحقها.

وأما الأصدقاء فهم نوعان: أصدقاء مخلصون وسيرته معهم.

- الأول: ينبغى أن لا يؤاخذهم بالتقصير، ولا يجاريهم عليه ولا يعاتبهم عتابًا مفرطًا.
- الثانى: وليدم ملاحظتهم، ويتعهد أسبابهم، ويهد ما يستحسنه إليهم.
- الثالث: ويجتهد في الاستكثار منهم فإن الصديق زين المرء وعضده وناصره ومُذيع فضائله.
- الرابع: وأفضل ما استعمل المرء مع أصدقائه مُواساته لهم بما يمكنه.
- الخامس: وليتفقد أقاربهم، وعيالهم إذا ماتوا فإنه من فعل ذلك رغب في صداقته كل أحد.
- السادس: وينبغى أن يبدأهم بالبر ولا يحوجهم إلى مسألة ويسأل عمن غاب ممن حضر.

أصدقاء فى الظاهر وسيرته معهم:

- الأول: ينبغى أن يجاملهم ويحسن إليهم ولا يطلعهم على شىء من أسراره وعيوبه.
- الثانى: وأن لا يلقى إليهم خواص أحاديثه وأحواله ولا يحدثهم بنعمه.
- الثالث: ويجتهد في استمالتهم والصبر معهم ويعاملهم بحسب الظاهر.
- الرابع: وليعلم أن أول الأشياء على صدق الإخاء، تعهد أحوال الأصدقاء.
- الخامس: وينبغى أن يتعهد حال من غاب منهم ويسأل عنه بحضور الباقين ليستميلهم بذلك.
- السادس: وينبغى أن يتقبل منهم كل مُستصلح إلى أكرم مرتبة، ليجتهد الناس في محبته.

ويجب أن يختار من الأصدقاء أربعة:

١- أهل ثروة يستعين بهم في الهم والغم والعوارض التى يقصد لِمَّ شَعَثها وخير هيفها (أى خير المال).

٢- أهل شرف يستعين بجاههم في حوادث زمانه التى لا يخلو فيها.

٣- أرباب محادثة طيبة في سائر خلواته، ويفزع إليهم عند كربه والضجر من إهماله.

٤- أهل علم وتدين وحكمة وعقل يفيدونه ويقوُّون قوّة تميزه وعمله.

وأما الأعداء فهم على ضربين:

صنف هم ذوُو الأضغان والأحقاد وسيرته معهم مؤسسة على هذه الواجبات:

١- ينبغى أن يحترس كل الاحتراس ويستطلع أخبارهم.

٢- ومهما وقف على تدبير أو مكرٍ لهم قابله بما ينقضه عليهم.

٣- وليكثر النكاية فيهم إلى الولاة وغيرهم فلا تنجح فيه مكائدهم.

٤- وكل من يئس من صلاحه، وتيقن سوء طبعه فلينتهز الفرصة في أذاه إذا أمكن لئلا يظهر ذلك فيفسد حاله.

وصنف هم الحُساد وسيرته معهم على هذا:

١- ينبغى أن يُظهر أبدًا ما يغيظهم وما يؤذيهم.

٢- وليحذر من دسيستهم ويحتال لظهور حسدهم.

٣- وليعرفهم ما هو فيه من النعم ليموتوا بغيظهم.

٤- ويجب أن يزداد فضلًا إلى فضله فقد قيل:

٥- من ازداد فضلًا زاد حاسده غمًّا.

وأما المتوسطون منهم على أربعة أنواع:

١- صلحاء: وهم ناس يتبرعون بإصلاح الناس:

- يجب مدحهم أبدًا على فعلهم ويجتهد في التشبه بهم في سائر أحواله.
- وسيرتهم مَرْضِيَة عند أكثر الناس ومن سار بها عُرف بالخير وحسن النية.

٢- نصحاء: وهم المتعاطون النصيحة:

- يجب أن يستمع إلى قولهم، ولا يعجل إلى قبوله إلا بعد التأمل.
- وليعرف أغراضهم ومقاصدهم، ويقف على حقيقة مرادهم.
- وليظهر لهم الطاعة والقبول لما يلقون إليه ليستديم صحبتهم.

٣- سفهاء: وهم أراذل الناس:

- يجب أن يستعمل معهم الحلم ولا يواتيهم بما هو فيه من السفه.
- وأن يتلقاهم أبدًا ليعرفوا قلة مبالاته بحالهم فلا يؤذوه.
- فإن تلقوه بالشتم والسفه، تلقاهم بالمحقرة وقلة الاكتراث.

٤- منافسون: وهم ذوو طباع ليست بجيدة:

- يجب على المرء أن يقابلهم مثل فعلهم لأنه إن تواضع لهم استضعفوه.
- فإن تكبر علموا أن الذنب في ذلك لهم فيلقوه بالتواضع.

وأما سيرة الإنسان مع من دونه وهم صنفان:

١- متعلمون وهم على ثلاثة أضرب:

الضرب الأول: ذوو الطباع الجيدة: ينبغي أن لا يمنع عنهم شيئًا من العلوم بل يوصل ذلك إلى كل واحد منهم بقدر استحقاقه.

الضرب الثاني: هم البلداء: وهم الذين فيهم أدنى ذكاء ولا ترجى براعتهم، فليحملهم على ما هو أعود ليكتسبوا به ما ينفعهم.

الضرب الثالث: ذوو الطباع الرديئة: وهم الذين قصدهم بالعلم استعماله في الشر وفي ما لا يجب، فينبغي أن يحملهم على تهذيب الأخلاق وإزالة ذلك من نفوسهم، وأن لا يعلمهم شيئًا من العلوم النافعة إلا بعد معرفة صلاحهم.

٢- محتاجون وهم على ثلاثة أضرب:

الضرب الأول: فالملحون ينبغي أن لا يعطيهم ولا يبذل لهم على الحاجة شيئًا، وليزجرهم عنه، فإن علم صدق حاجتهم أسعفهم.

الضرب الثاني: والكاذبون ينبغي أن يميز بينهم، فمن كان كذبه لضرب من التدبير فليواسه ولتكن مواساته لهم وسطًا من غير منعٍ ظاهرٍ ولا بذل تامٍّ.

الضرب الثالث: الصادقون فيما يظهرونه: والصادقون يجب أن يواسيهم بما يقدر عليه ويتهيأ له ولا يُجبههم، وليجعل إحسانه إليهم بما لا يخل بأحوال نفسه ولا يضيق عليهم:

ويجب على العامل بهذه السيرة العقلية مراعاة هذه الأحوال:

- الأول: أن يعلم أنه حقٌّ على المرء أن ينظر إلى محاسن الناس ومساوئهم ليجتذب المنافع إليه
- الثاني: ثم يوظف الأمور وظائفها ويجعل بين طبائقها حدودًا يظهر الفرق بينها.
- الثالث: ثم يأخذ نفسه بتأديبها في إحياء علم ما علم بالعمل واستجلاب علم ما جهل بالتعلم.
- الرابع: ثم لا يكون تأديبه لنفسه في وقت واحد فإنه في كل حين موضع تأديب.
- الخامس: وليعلم أن مناهج التأديب إيقاظه ثم لا يمنعه عصيانها من إدامة إيقاظها.
- السادس: فإذا همّت النفس ببعض الإجابة كان أول ما يؤخذ به إعطاء الدين حقه وإشعارها حظها
- السابع: ثم إحياء الحزم عند المكاره والصبر عند المصائب والكظم عند الغضب والوقار عند المستجلات.
- الثامن: ثم صحبه الملوك بكتمان السرّ وبإرشاد الأعمال وتقريظ الأفعال وتسديد الأقوال والملازمة.
- التاسع: ثم تعهد الإخوان بإحياء الملاطفة والاسكثار من فوائد الإخوان ثم حفظ إخوان الإخوان.
- العاشر: ثم تعهد أهل المكاسرة (هم أهل الشر) والمتشبهين بالإخوان، بالصبر عليهم إما طمعًا في تحويل ذلك صدقًا أو اتقاء عاديتهم.

- الحادى عشر: ثم يواسيهم ويمتحنهم بالحفظ على العقب عند الزمانة بجبر الكسر والضعف وعند الحاجة بقضائها.
- الثانى عشر: ثم تعهد الصلحاء بالمصافاة بالخلوة والإلقاء بالإكرام والخاصة يخصهم بمنزلة نفسه.
- الثالث عشر: ثم إسعاد ضعفاء ذوى الرحم بالرحمة وأقويائهم بالتعليم وأكابرهم بالإحسان وأرأدهم بالمداراة.
- الرابع عشر: ثم مقابلة الأعداء بالأذى مع التمكن وذوى التنصل بالمغفرة وذوى الاعتراف بالرأفة.
- الخامس عشر: ثم ذوى الاغتيال بالمناقضة والحسّاد بالمغايظة وأهل المواثبة بالوقار.
- السادس عشر: ثم لقاء أهل المشاتمة بالمحقرة وأهل المنافسة بالمكابرة وذوى الملادغة بالاحتراس.
- السابع عشر: ثم يأمر في الشبهات بالكف والمجهولات بالإرجاء والواضحات بالعزيمة والمستريبات بالبحث.
- الثامن عشر: ثم تعهد الجيران بالرفق، والصاحب بالمطاوعة، والزائر بالتحفة، والصديق بالهدية والإكرام.
- التاسع عشر: ثم يُفرق بين خيار الإخوان وشرارهم ونافع الرؤساء وضارهم ليحمل إلى ما كان أعود عليه.
- العشرون: ثم تعهد المعيشة والحرفة التى يحترف بها ليتوفر كسبه وينمو ماله ويحسن حاله وينتظم. (ص ٨٤-٩١)

ويحصى ابن الربيع أوجه اختلاف الناس ويعددها على النحو التالى: قال رحمه الله:

فأما اختلاف الناس في آرائهم ومذاهبهم، وعاداتهم فهم مختلفو الطباع في أغراضهم، وشهواتهم، فمنهم من يكون قويًا في المعانى التى نذكرها كلها، ومنهم

من يكون ضعيفًا فيها كلها، ومنهم ممن يكون قويًا في البعض وضعيفًا في البعض، وهذه المعانى التى ينقسمون إليها هى:

القسم الأول:

هم المؤثرون الزهد في الدنيا وهم نوعان:

- النوع الأول: هم الذين مالوا إلى العلوم الدينية كالفقه والتفسير والحديث.

- النوع الثانى: هم مختارو التجربة والانقطاع والسياحة في الجبال.

القسم الثانى:

هم المؤثرون للآداب الدنيوية، وهم أنواع:

- الأول: هم الذين إرادتهم إشاعة الخبر عنهم بالعلوم من غير اشتعال.
- الثانى: هم الذين شهوتهم جمع الكتب فقط دون الاشتغال بها.
- الثالث: هم مختارو أدب الروم كالطب والنجوم والفلسفة.
- الرابع: هم مؤدبو أثر النفس في السير وتدبير الممالك.
- الخامس: هم الذين يؤثرون علم الأنساب والأيام والوقائع.
- السادس: هم الذين يميلون إلى آداب العرب كالشعر والنحو والكتابة.

القسم الثالث:

هم المؤثرون للذّات البدنية وأنواعهم:

- النوع الأول: هم الذين ميلهم إلى المطاعم والتألق فيها، والمبالغة في اتخاذها، وينقسمون أقسامًا:
  (أ) كمن يميل إلى الطعوم الدسمة وشبهها.
  (ب) كمن يمتنع مما تقدم، ويستعمل اللبن والبقول.
  (جـ) كمن يختار أكل الطين والأشنان وشبهه (لعله يقصد النباتات، أو محتويات البحار).

- النوع الثانى: هم الذين ميلهم إلى المشارب، واتخاذها، بغية مجالسها، وينقسمون أقسامًا:

(أ) كمن يهوى الأشربة الحلوة، وأشباهها.

(ب) كمن يختار شرب الأنبذة، وأشباهها.

(جـ) كمن غرضه ما يفسد العقل، ويغيره.

- النوع الثالث: هم الذين غرضهم السماع، وما يتعلق به، وتفضيله على غيره، وينقسمون أقسامًا:

(أ) كمن يؤثر حسن الصوت فقط.

(ب) كمن غرضه آلة مخصوصة من الآلات.

- النوع الرابع: هم الذين يفعلون أمورًا قبيحة يألفونها، فتصير عادة، وينقسمون إلى قسمين:

(أ) كمن يعتاد تقريض لحيته.

(ب) كمن يُقلم أظافره بفمه، وأشباه ذلك.

القسم الرابع:

هم المؤثرون للمفاخرة بالمال والجاه، وهم على أنواع:

- النوع الأول: هم الذين يختارون معاشرة الأصدقاء، واتخاذ الإخوان.

- النوع الثانى: هم الذين يقتنون المال، ويفتخرون بجمعه وحفظه، ومراعاته.

- النوع الثالث: هم الذين ميلهم إلى اقتناء الأملاك والعقارات دون غيرها.

- النوع الرابع: هم الذين إيثارهم اقتناء الآلات الجميلة، والأدوات الحسنة.

- النوع الخامس: هم الذين اختيارهم علو المنزلة عند السلطان، والقرب منه.

وينقسمون بعد ذلك إلى أقسام ثمانية يأتى ذكرها:

١- (صنف): يعقلون الخير طبعًا وهذه صفة الأحرار.

٢- (صنف): يشكرون المحسن، وهذه صفة الشاكرين.

٣- (صنف): ينكرون الإحسان، وهذه صفة كافرى النعمة.

٤- (صنف): يكافؤون الإحسان بالإساءة، وهذه صفة الأندال.

٥- (صنف): يقترفون الشر طبعًا، وهذه صفة الهوام السمية.

٦- (صنف): يسيؤون إلى من أساء إليهم، وهذه صفة الحاقدين.

٧- (صنف): يصبرون على الأذى، وهذه صفة ذوى العقول، والاحتمال.

٨- (صنف): يحسنون، وإن أسىء إليهم، وهذه صفة الملائكة من الإنس.

وأحوال المرء، وأقواله لا تخلو من أربعة أحوال:

- الحالة الأولى: جائزةٌ في العلم غيرُ جائزةٍ في الأدب، كالأكل في الأسواق، والبول على شوارع الطرق، وأشباه ذلك.

- الحالة الثانية: جائزة في الأدب، غير جائزة في العلم، كالشرب في أوانى الذهب والفضة، ولبس الحرير، والتختم بالذهب وأشباهه.

- الحالة الثالثة: جائزة في العلم والأدب معًا، كخدمة الرجل ضيفه، وبر الوالدين، ومجازاة المحسن، وبذل المال.

- الحالة الرابعة: غير جائزة في العلم والأدب، كالزنا، والسكر والشره، والكذب، وما أشبه ذلك.

ويجب على المعتنى بإصلاح أخلاقه، والمحب لكمال ذاته مراعاة هذه الأمور:

١- فإنه إذا فعل ذلك كان خليقًا أن يملك نفسهُ ويألف حسن السيرة.

٢- وأن يكون سهل اللقاء والبشر والتسليم سابقًا به، بعيدًا من الأشرار، مستعمل القصد في أموره. (القصد: الاستواء دون ميل، وبالمعنى الحالى: الاستقامة).

٣- وأن يجتنب أيضًا محاكاة الغير بالكلام، واستعمال السفه بالألفاظ القبيحة، ويترك الحلف.

٤- وأن يجتنب مخاطبة النساء والصبيان والعامة والسفهاء، ويلازم الصمت عمّا لا ينبغى.

٥- وأن يقمع أبدًا سَوْرة قوتين، الغضبية والشهوانية، ويستعمل قوة العقل عليهما (سورة الغضب: وثوبه وقوته).

٦- وأن يجعل لشهوته قانونًا راتبًا يقصد فيه الاعتدال، ويجتنب الإسراف.

٧- وأن يسدد طرفًا من علم اللسان، ويعتنى بالبلاغة والفصاحة والكتابة والدرس.

٨- وأن يأخذ نفسه بأوامر الله ورسوله، وأولى الأمر من بعده ليؤدبهم بآدابهم.

٩- وأن لا يقف عند غاية من العلم، إلا ويومئُ بطرفه إلى ما فوقها ليزداد بصيرة.

١٠- وأن يكون مستصغرًا للرتبة العليا، طالبًا غايتها بجهده جاعلًا غرضه الإحاطة بها.

١١- وأن يعتنى تهذيب نفسه، فلا يستكثر ما يقتنيه من الفضائل، والعلوم النافعة.

١٢- وأن يكون أبدًا عاشقًا لصورة الكمال، مستلذًّا محاسن الأخلاق، ومحمودها.

١٣- وأن يحترز من دخول النقص عليه، وليجتهد في بلوغه غاية الكمال.

١٤- وأن يكون متفقدًا لجميع أخلاقه، ومتيقظًا لسائر أحواله، منتقصًا لمذموم العادات.

١٥- وأن يحذر من قول بعضهم: إن امرؤ ذهبت من عمره ساعة لحريٌّ أن تطول حيرته عليها.

١٦- وأن يغتنم الحياة التى بها فارق الأموات والجماد، فيصرف زمانه في المهم دون غيره

فإن الإنسان إذا راعى هذه الأشياء وسلك سبيلها:

لأصبح مكرمًا عند الله تعالى، وصارت الفضائل له ديدنًا (الديدن: سجية وطبعا)، ولحق برتبة أهل الفضل، وغلب عليه الصلاح، قادرًا على اطراح الفعل المرذول، قويَّ النفس على الفعل الجميل، موقرًا عند الرؤساء، مقبول القول معظمًا عندهم، وصار مُحببًا إلى الناس.

وصية لبعض الحكماء تحتها معان نذكرها:

١- جَوِّدْ عطرك، معناه: وسع معروفك.

٢- وطيب رائحتك، معناه: نظف سمعتك من المعصية.

٣- وقلم أظافرك، معناه: كُف لسانك عن المعايب.

٤- وقصر خطوتك، معناه: تمهل في الأمور.

٥- ونظف ثوبك، معناه: حسن خُلقك.

٦- ولا تحقرن عدوك، معناه: لا تستصغر اليسير من الهوى.

وقال بعض الملوك لوزرائه: ميزوا لى كلمات إذا سمعها عاقل حفظها. قال: لا تحمل على بدنك ما لا تطيق، ولا تعمل عملًا ليست لك فيه منفعة، ولا تغتر بامرأة وإن حسنت، ولا تغترن بمال، وإن كثر.

وقال بعض العلماء: ثمانى خصال قبيحة وهى بمن نذكرهم أقبح:

١- الضيق من الملوك.

٢- سرعة البطش من السلطان.

٣- العظمة من السفهاء.

٤- التبذير من النساء.

٥- الحيل من الأشراف.

٦- البخل من الأغبياء.

٧- الصِّبا من العقلاء.

٨- الكذب من الحكماء.

ومن وصايا العلماء والحكماء ما نحن ذاكروه:

١- قال آخر: من التمس الرُّخص في المشورة من الإخوان، ومن الأطباء عند المرض، ومن الفقهاء عند الشُّبه فقد أخطأ الرأى.

٢- وقال آخر: كل ما عذرت نفسك عليه، فلا تلُم أخاك عليه، وإذا فعلت فعلًا وظهر لك رداءته فلا تعاوده.

٣- وقال آخر: إذا سمعت كلامًا جيدًا أو رديئًا، فلا تمتعض من سماعه، وإن كان لازمًا فهوِّن على نفسك.

٤- وقال آخر: احذرْ أن ترتكب قبيحًا في خلوةٍ أو مع غيرك، وليكن استخبارك من نفسك أكثر.

٥- وقال آخر: احفظ نفسك من الزلل، ولا تضحك إذا عُثر، والجمْ غضبك لئلا يخرجك من عقلك.

٦- وقال آخر: إذا لم تطعك نفسك فيما تحملها عليه مما تكره، فلا تطعها فيما تحملك عليه مما تهوى.

٧- وقال آخر: لا تفرح بالبطالة، ولا تتكل على البخت (البخت: هو الحظ)، ولا تندم على فعل الخير، والزم العدل في كل أمورك.

٨- وقال آخر: لتكن سيرتك مع الناس كلهم بالتواضع، ولا تستحقر أحدًا لتواضعه ولا تسفه على أحد.

٩- وقال آخر: أحببْ الحكمة، وأنصت للحكماء، واطرح سلطان الدنيا، فلا تفعل شيئًا في غير وقته وأوانه.

١٠- وقال آخر: لاينبغى أن تترك ما هو أفضل من أجل السرور الزائل، فتترك السرور الدائم، والنعيم السرمدى.

١١- وقال آخر: لا تضاد شيئًا من الخير، ولا تسْتَعِنْ شيئًا من السيئات واعددنَّ أذى فلا تدرى متى الدَّعَة. (لا تضاد: أى لا تَجعل للخير ضدًّا وهو الشر، الدَّعة: الخفض، والمقصود بالعبارة:لا تدرى متى تنقلب عليك الدنيا).

١٢- وقال آخر: الأدب يزين الغنى، ويستر الفقر، ومن تشاغل به فأقل ما يربح منه أن لا يتفرغ للخطأ.

١٣- وقال آخر: يجب من اصطنع معروفًا يتناساه، وينبغى على من أسدى إليه أن يكون ذكره بين عينيه.

١٤- وقال آخر: الشىء الذى لا ينبغى أن تفعله، تَهْوَهُ، ولا تحكمْ من قبل سماع الخصمين.

١٥- وقال آخر: من استحق منك الخير فلا تنظر ابتداءه بالمسألة ليكون أكمل إلذاذًا وأهنأ موقعًا.

١٦- وقال آخر: اخترْ أن تكون مغلوبًا، وأنت منصف، ولا تكنْ غالبًا وأنت ظالم.

١٧- وقال آخر: لا تغر أخًا على أخٍ فيوشك أن يصطلحا عن قليل فتكْسبَ المذمة بما فعلت.

١٨- وقال آخر: لا تحضرْ منازعة، فإنك لاتخلو من قسط من أذاه، ولو بالمطالبة بإقامة الشهادة.

١٩- وقال آخر: ليكن فرحكم في الدنيا بقدر ما تدخرونه لأنفسكم لا بما تقتنونه لغيركم.

٢٠- قال حكيم: لا يجب أن تحث غيرك على فضيلة ما لم تكن كاملة فيك، فإن فعلك يخبر عن قبول كلامك

(وينبغى أن يتحرز من هذه الآفات):

- (آفة الملك: سوء السيرة)
- (آفة الوزراء: خبث السريرة)
- (آفة الجند: مخالفة القادة)
- (آفة الأمراء: مفارقة الطاعة)
- (آفة الرعية: ضعف السياسة)
- (آفة العلماء: حب الرئاسة)
- (آفة القضاة: شره الطمع)
- (آفة العُدول: قلة الورع)
- (آفة الملك: تضاد الحماة)
- (آفة العدل: ميلُ الولاة)
- (آفة الرأى: إضاعة الحزم)
- (آفة القوى: استضعاف الخصم)
- (آفة المجد: عوائق القضاء)
- (آفة العزم: انتقاض الآراء)
- (آفة المنعم: قُبحُ المنّ)
- (آفة المذنب: سوء الظن)

(ص ١١٩-١٢٧).

(سلوك المالك في تدبير الممالك. تأليف شهاب الدين أحمد بن أبى الربيع تحقيق عارف أحمد عبد الغنى/ ٨٤ ٩١، ١١٩ ١٢٧).

النص الثالث:

(هـ) ٣- مشاكلة الناس لزمانهم. تأليف أحمد بن اسحاق اليعقوبى المؤرخ تحقيق وليم مِلْوَرْد (ص ٩ ٣٥):

أما النموذج الثالث من نماذج ما أُلّف في مصنفات التراث عن الناس فهو رسالة لطيفة تقع في خمس وثلاثين صفحة، يجيب فيها اليعقوبى المؤرخ على سؤال لا يفتأ يلح علينا: هل يتغير الناس من زمان إلى زمان ؟ وإذا كان ذلك كذلك فلماذا يتغيرون ؟ أم أن الناس هم الناس في كل زمان ومكان ؟

وقد رأينا أن نسوق هذه الرسالة بتمامها تحقيقًا للفائدة، وبالله التوفيق:

كتاب مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر

قال الشيخ الإمام الحافظ العلاَّمة أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن واضح رحمه الله: فأما الخلفاء وملوك الإسلام فإن المسلمين في كل عصر تبع للخليفة يسلكون سبيله ويذهبون مذاهبه، ويعملون على قدر ما يرون منه، ولا يخرجون منه، ولا يخرجون عن أخلاقه وأفعاله وأقواله.

ذكر الخلفاء الراشدين

فكان أبو بكر بعد رسول الله ﷺ أزهد الناس وأشدهم تواضعًا وتقلّلا في لباسه، وكان يلبس وهو خليفة الشَّمْلة والعباءة. وقدمت عليه أشرافُ العرب وملوك اليمن وعليهم التيجانُ وبرود الوشى والحِبَرُ، فلمَّا رأى القوم تواضعه ولباسه نزعوا ما كان عليهم وذهبوا مذهبه واقتفوا أثره. وكان ذو الكلاع ملك حمير فيمن قدم على أبى بكر في عشيرته وقومه وعليه التاج، وكان له عشرة آلاف عبد خولا في مخاليفه. فلمَّا رأى لباس أبى بكر قال: ما ينبغى لنا أن نفعل بخلاف ما عليه خليفةُ رسول الله ﷺ فنزع لباسه الأول وتشبه بأبى بكر، حتى إنه رؤى في سوق المدينة يحمل جلد شاة على قفاه، فقالت له عشيرته وقومه: فضحتنا، أنت سيدنا تحمل جلد شاةٍ بين المهاجرين والأنصار! قال: فأردتم منِّى أن أكون جبَّارًا في الجاهلية جبَّارًا في الإسلام.

وكان الأشْعَثُ بن قيس ملك كندة يلبس التاج ويُحَيا بتحية الملوك، فلما أسلم بعد ارتداده وزوجه أبو بكر أخته أُم فروة بنت أبى قُحافة تواضع بعد التكبر، وتذلل بعد التجبر، حتى كان يشدّ عليه شَمْلة خَلَقَة، ثم يهنأ البعير بيده تشبهًا بأبى بكر واطراحًا للأخلاق التى كان عليها في الجاهلية (يهنأ البعير: يدهنه بالكبريت ونحوه).

وكان أبو بكر رضى الله عنه لا يحمل أحدا من الأشراف على التجاوز، حتى إنه بلغه عن أبى سفيان بن حرب أمرًا يكرهه، فدعا به فجعل يصيح عليه، وأبو سفيان يتذلل له ويتواضع بين يديه. وأقبل أبو قُحافة يقوده قائده وكان قد

عمى، فسمع صياح أبى بكر، فقال لقائده: على مَنْ يصيح أبو بكر ؟ قال: على أبى سفيان بن حرب. قال أبو عتيق: أعلى أبى سفيان ترفع صوتك. لقد تعديت طورك. فقال: يا أبة إن الله قد رفع بالإسلام قومًا ووضع به آخرين.

وكان عمر بن الخطاب رحمه الله تعالى مع تواضعه وخشونة ملبسه ومطعمه شديدًا في ذات الله. فكان عماله وسائرُ من يحضره أو يغيب عنه يتشبهون به، ولا يفارق أحد من أصحاب رسول الله ﷺ وكان يلبس الجبة الصوف، ويشتمل بالعباءة، ويهنأ البعير، ويحمل قربة الماء على ظهره لأهله. وكان العامل من عماله، وهم أُمراء الأمصار. وقد فتح الله عليهم وخولهم ومكن لهم وأغناهم وأكفاهم، يتحفّون ويخلعون النعال ولا يلبسون الخفاف ويلبسون غلاظ الثياب، وإذا قدموا عليه قدموا شُعثًا غُبْرًا، غلاظًا ثيابهم، شَحِبَةً ألوانهم، فإن رآهم أو بلغه عنهم غير ذلك أنكره عليهم. وكان ركوبهم الإبل أكثر من ركوبهم للخيل على التشبُّه بعمر وسلوك فعله، وما كانوا عليه على عهد رسول الله ﷺ حتى إنه رؤى على أبى عبيدة بن الجراح وهو أمير الشام وقد فتحها الله عليه جبة صوف وقد تغيرت رائحتها، فقال أبو عبيدة: لقد جلست إلى رسول الله ﷺ فيما هو أشد رائحة من هذا فما أنكره.

وكان سلمان الفارسى عامل عمر بن الخطاب على المدائن، وكان يلبس غليظ الثياب ويركب الحمارة ببرذعة مُرسّنة بحبل ليف، وحَضرته الوفاة، فأتاه سعد بن أبى وقاص فقال له: أوصنى يا أبا عبد الله. فقال: نعم، اذكر الله عند همّك إذا هممت، وعند لسانك إذا حكيت، وعند يدك إذا قسمت. وجعل سلمان يبكى فقال له: يا أبا عبد الله ما يبكيك ؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن في الآخرة عقبةً لا يقطعها إلا المُخفُّون. وأرى هذه الأساود حولى. فنظرنا فما رأينا في بيته إلا إداوة أو رَكوة أو قدرًا أو مطهرة.

وولّى عمر بن الخطاب عُمير بن سعد الأنصارى جند حمص، فأقام حولا ثم انصرف على جَمله على الحال التى مضى من عند عمر بها.

فقال عمر: ويح قوم وليت عليهم أما عرفوا لك حقًّا ؟ أو كما قال.

وحج عمر بن الخطاب فقال لابنه عبد الله: كم أنفقنا في حجتنا ؟ فقال: ستة عشر دينارًا، فقال: لقد أسرفنا في هذا المال.

وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه في السماحة والجود وصلة الأرحام ورفع القرابة واتخاذ المال على ما كان عليه، فامتثل الناس فعله. فبنى عثمان داره بالمدينة وأنفق عليها مالًا جليلًا، وشيدها بالحجارة، وجعل على أبوابه مصاريع الساج، واتخذ أموالًا بالمدينة وعيونًا وإبلًا. قال عبد الله بن عتبة: كان لعثمان بن عفان يوم مات عند خازنه مائة ألف وخمسون ألف دينار وألف ألف درهم. وكانت ضياعُه بئر أريس، وخيبر، ووادى القُرى قيمته مائتا ألف دينار، وخلف خيلا وإبلا.

وفي أيام عثمان اتخذ أصحاب رسول الله ﷺ الأموال وبنوا الدور.

فبنى الزُّبير بن العوام داره المشهورة بالبصرة وفيها الأسواق والتجارات، وبنى الزُّبير أيضًا دارًا بالكوفة ودارًا بمصر ودارًا بالإسكندرية، وبلغ ثُمن مال الزُّبير خمسين ألف دينار، وترك ألف فرس وألف مملوك، وخططًا بمصر والإسكندرية والكوفة والبصرة.

وبنى طلحة بن عبيد الله دورًا وعقارات قُوِّمت بمئة ألف دينار، وكانت غلته بالعراق في كل يوم ألفا وافيا، وغلته بالشام عشرة آلاف دينار، وبنى داره بالجصّ والآجرّ والساج، وترك من الذهب والفضة مالًا جليلًا.

وبنى عبد الرحمن بن عوف داره فوسَّعها، وكان له ألف بعير وعشرة آلاف شاة ومئة فرس، وبلغ ربع ثمن ماله أربعة وثمانين ألف دينار.

وبنى سعد بن أبى وقاص داره بالعقيق فشيدها وجعل لها شرافات. قال سعيد بن المسيب، وترك زيد بن ثابت من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس، ومالًا وضياعًا وعيونًا مبلغها مئة ألف وخمسون ألف دينار.

وترك يَعْلَى بن منبه التميمى خمس مئة ألف دينار وعقارات وضياعًا وديونا بقيمة ثلاث مئة ألف دينار.

وبنى المقداد قصره بالجُرْف، وجصّص باطنة وظاهره، وجعل له شرافات، ولم يفعل أحد من الناس هذا على عهد عمر وإنما فعلوه بعده.

وكان على بن أبى طالب عليه السلام مشتغلًا أيامه كلّها بالحرب، إلا أنه لم يلبس ثوبًا جديدًا، ولم يتخذ ضيعة، ولم يعقد على مال، إلاّ ما كان ينبُع والنفق (الكلمة غير منقوطة) مما يتصدّق به رضى الله عنه وكرم الله وجهه. وحفظ الناس عنه الخطب، فإنه خطب بأربع مئة خطبة حفظت عنه، وهى التى تدور بين الناس ويستعملونها فى خطبهم وكلامهم.

ذكر خلفاء بنى أمية

وكان معاوية بن أبى سفيان، فبنى القصور وشيد الدور، وعلّى الستور، واتخذ الحرس، واتخذ الشرطة، وأقام الحُجاب، وبنى المقاصير فى المساجد، وركب الدوابّ الهماليج بالسروج المصفّفة، ولبس الخزّ والوشى، واتخذ الصوافى والضياع، وعُمِل له الطراز باليمن وبمصر والإسكندرية والرها، فاتخذ أهله وولده وعماله ما اتخذ، وفعلوا مثل ما فعل.

فبنى عمرو بن العاص داره بمصر، واتخذ لنفسه الضياع، وغرس فى ضيعته التى يقال لها الوَهْط بالطائف ألف ألف عود كرم، فكانت غلته عشرة آلاف ألف درهم. وخلّف عمرو يوم مات ثلاث مئة ألف دينار، وقال لما حضرته الوفاة: ياليتها كانت مئة ألف دينار.

وفعل عبد الله بن عامر بن كُريز عامل معاوية بالبصرة مثل ذلك، فحفر الأنهار وشيد الدور وبنى القصور واتخذ الضياع والأموال والأجنة بالبصرة وبمكة والطائف.

وفعل زياد عامل معاوية على العراق ذلك بالكوفة والبصرة وسائر العراق، واتخذ الضياع وبنى وشيد البنيان، وخلف زياد يوم مات ستة آلاف دينار فأخذها معاوية: وهكذا كان معاوية يفعل بعماله وربما شاطر ورثته.

وفعل مسلمة بن مخلّد عامل معاوية على مصر مثل ذلك فاتّخذ ضياعًا بمصر وقفها على قومه، وخلف يوم مات مئة ألف دينار وألف ألف درهم. وجعل

عُقبة بن عامر الجهنى، وكان عامل معاوية أيضًا على مصر، ضياعًا بمصر، وحبس (أوقف) بعضها، وبنى دارًا بمصر بالحجارة والجص، وخلف ثلاثين ألف دينار وسبع مئة ألف درهم.

وباع حُويطب بن عبد العُزى دارًا من معاوية بأربعين ألف دينار، فقيل: يا أبا محمد أربعون ألفًا؟ فقال: وما أربعون ألف دينار لرجل عليه ستة من العيال. وكان معاوية يقول: أنا فتقت الملك.

وكان يزيد بن معاوية صاحب طرْد وجوارح وكلاب ولهو ومنادمة على الشراب، فغلب ذلك على صاحبه. وفي عصره ظهر الغناء بمكة والمدينة، واستُعملت الملاهى، وأظهر الأشراف الشراب.

ثم كان عبد الملك بن مروان. فكان صارمًا حازمًا بخيلًا، يحب الشعر والفخر والتقريظ والمدح. وكان في عصره فحول الشعراء جرير والفرزدق والأخطل وغيرهم، وكثُرَ الشعر في أيام عبد الملك، وامتدحت الشعراء الأمراء والأشراف وطلبت الثواب. وكان لعبد الملك إقدامٌ على الدماء ومعاجلة، فكان عمّاله على مثل مذهبه: الحجّاج بالعراق، والمهلب بخراسان، وهشام بن إسماعيل المخزومى بالمدينة، وعبد الله بن عبد الملك بمصر، وموسى بن نُصير اللخمى بالمغرب، ومحمد بن يوسف الثقفى أخو الحجّاج باليمن، ومحمد بن مروان بالجزيرة والموصل، وكلهم جائر ظالم غَشوم عَسوف، وكان الحجاج من أظلمهم وأقدمهم على الدماء.

وكان الوليد بن عبد الملك جبّارًا عنيدًا ظلومًا، وكان عمّاله في جميع البلدان على مثل مذهبه. فكان عمر بن عبد العزيز - رحمه الله تعالى - يقول: الوليد بالشام، والحجاج بالعراق، وعثمان بن حيّان بالحجاز، ومحمد بن يوسف باليمن، وقرّة بن شريك بمصر، وموسى بن نُصير بأفريقية، امتلأت الأرض جورا. ولم يعرف من مذهب الوليد شىء إلا بناؤه المساجد، فإنه بنى مسجد دمشق.

ثم كان سليمان بن عبد الملك بن مروان، فكان صاحب طعام وأكل كثير يتجاوز المقدار، ولباس الثياب الرقاق وثياب الوشى جبابًا وأردية وسراويلات وعمائم وقلانس، فكان لا يدخل أحد من أهل بيته عليه إلا في الوشى، وكذلك

عماله وأصحابه وخدمه ومن ـ في داره. وكان لباسه ـ في ركوبه وجلوسه وعلى المنبر. وكان لا يدخل إليه أحد من خدمه إلا ـ في الوشى حتى الطباخ فإنه كان يدخل إليه ـ في جبة وشى وطويلة وشى.

ثم كان عمر بن عبد العزيز بن مروان، فولى بتواضع ونسك وتزهّد ودين وتقرب لأهل الفضل. فعزل عمال الوليد، واستعمل أصلح من قدر عليه. فكان عماله يذهبون مذهبه، وارتفع عن الناس ما كانوا فيه من الجور والظلم، وترك لعن على بن أبى طالب عليه السلام على المنابر، وجعل مكانه: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ الحشر: ١٠ فاستعمل الناس ذلك ـ في الخطبة إلى هذه الغاية.

وكان يزيد بن عبد الملك، فهو أول خليفة اتخذ قينة وغلبت على أمره امرأة. فكانت حبّابة جاريته المغنية تولى وتعزل وتُطلق وتحبس وتأمر وتنهى. وكان مع ذلك يسرع إلى الدماء، والأموال، وعاود عماله ما كانوا عليه من الجور.

ثم كان هشام بن عبد الملك بن مروان، كان خَشِنًا فظًا غليظًا بخيلًا، يجمع الأموال، ويعمر الأرض، ويستجيد كل شيء يعمل له من الكسوة والفرش، ويعاقب على التقصير فيه بأغلظ عقوبة. وـ في أيامه عُمل الخز الرقم، وكان الناس جميعًا ـ في أيام هشام على مثل مذهبه ـ في منع ما بأيديهم وقلة الإفضال وانقطاع الرفد، حتى أنه يقال لم يُر الزمان أصعب على الناس من زمانه، وذلك أنه منع ما كانت الخلفاء تفعله من البذل والعطايا والجوائز والصلات، فاستعمل الناس ذلك وسلكوا سبيله واقتدوا به. وقال له أبو سالم الأعرج: إنما أنتم سوق يحمل إليكم ما نفق عندك.

وكان الوليد بن يزيد بن عبد الملك صاحب شراب ولهو وطرب وسماع للغناء. وهو أول من حمل المغنين من البلدان إليه وجالس الملهين وأظهر الشراب والملاهى والعزف. وكان ـ في أيامه ابن سريج المغنى، ومعبد والغريض، وابن عائشة وابن محرز وطويس ودحمان، وغلب شهوة الغناء على الأشراف، واتخذ الناس العيدان، وكان متهتكًا ماجنا خليعا.

وكان يزيد بن الوليد بن عبد الملك، فلم تطل أيامه فتعرف أخلاقه ومذهبه، إلا أنه كان يقول بالاعتزال ويحاج فيه.

وكان مروان بن محمد بن مروان بن الحكم، فكان في أيامه كلها في حروب، إلا أنه أول خليفة أظهر العصبية وأوقعها في الناس. وكان كاتبه عبد الحميد بن يحيى بن سعد صاحب الرسائل، وكان في أول أمره معلمًا، وهو أول من أطال الرسائل واستعمل التحميدات في فصول الكتب فاستعمل الناس ذلك بعده.

ذكر خلفاء بني العباس

وولى أبو العباس أمير المؤمنين، وهو عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب. وكان أول ما فعله فامتثله الناس أنه خطب على المنبر قائمًا، وكانت بنو أمية تخطب قعودًا، فناداه الناس: يا ابن عم رسول الله أحييت سنة رسول الله ﷺ وكان سريعًا إلى الأمر بسفك الدماء، فسفك الأشعث بالمغرب، وصالح بن على بمصر، وسفك حازم بن خزيمة، وسفك حميد بن قحطبة بالعراق، وسفك عبد الله بن على بالشام، وسفك داود بن على بالحجاز، وسفك يحيى بن محمد أخوه بالموصل، وكان مع ذلك سمحًا وصولا جوادًا بالمال.

وكان أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد، فكان أول هاشمى أوقع بين ولد العباس بن عبد المطلب وأبى طالب بن عبد المطلب حتى قيل عباسى وطالبى، وقيل كان ذلك اسم بنى هاشم كلهم. وكان أول خليفة اتخذ المنجمين وعمل بالنجوم. وكان أول خليفة ترجم الكتب القديمة العجمية ونقلها إلى اللسان العربى، وفي أيامه تُرجم كتاب كليلة ودمنة، وترجم كتاب السند هند، وترجم كتب أرسطاطاليس وكتاب المجسطى لبطليموس، وكتاب أقليدس، وكتاب الارنماطيقى، وسائر الكتب العجمية في النجوم والحساب والطب والفلسفة وغير ذلك نظر فيها الناس. وفي أيامه أيضًا وضع محمد بن إسحاق بن يسار كتب المغازى، ولم تكن قبل ذلك مجموعة ولا معروفة. وكان أول خليفة بنى مدينة فنزلها وهى مدينة بغداد، وأخذ له الطالع في الوقت الذى اتخذ بنيانها. فقيل له إنه لا يموت بها خليفة. وكان أبو جعفر قد نظر في العلم وروى الحديث، وكثرت علوم الناس ورواياتهم في أيامه.

وكان أول خليفة استعمل مواليه وغلمانهم، وقدّمهم على العرب، فامتثلت ذلك الخلفاء من ولده بعده.

وكان المهدى سمحًا سخيًا كريمًا جوادًا بالأموال، وكان الناس في عصره على مثل مذهبه. واتسع الناس في أيام المهدى في معايشهم.

وكان إذا ركب حُملت معه البِدرُ فلا يسأله أحد إلا أعطاه بيده، فتشبه الناس به. وكان قصده قتل الزنادقة، وذلك أنهم كانوا قد كثروا. ومما كان ابن المقفع ترجمه من كتب مانى الثنوى وكتب ابن ديصان الثنوى وغيرهما. وما وضعه ابن أبى العرجاء وحماد عجرد ويحيى بن زياد ومطيع بن إياس، وملأوا به الأرض من كتب الملحدين، وكثرت الزنادقة وفشت كتبهم في الناس. وكان أول خليفة أمر المتكلمين أن يضعوا الكتب على أهل الإلحاد. وبنى المسجد الحرام على ما هو عليه إلى هذه الغاية، وبنى مسجد رسول الله ﷺ وكانت الزلازل هدمته.

ثم كان موسى بن المهدى، فكان جبارًا وكان أول خليفة مشت الرجال بين يديه بالسيوف المسللة والعمد والقسى الموترة، فتشبه عماله به وذهبوا مذهبه.

ثم كان هارون الرشيد بن المهدى، فكان متابعًا للحج والغزو وبناء المصانع (خزانات المياه) والثغور، في طريق مكة وبمكة والمدينة ومنى وعرفات، وبنى ثمان ثغور مثل طرسوس وغيرها، وبنى دورًا للمرابطين، فتشبه أهله وعماله وأصحابه وكتابه به، فلم يبق أحد إلا بنى بمكة دارًا وبطرسوس دارًا تشبهًا به وعملًا بمثل عمله. وكان أكثرهم لذلك فعلًا وأحسنهم أثرًا زوجته أم جعفر بنت جعفر بن المنصور، ثم البرامكة وزراؤه، وغيرهم من مواليه وقواده وكتابه.

وكان الرشيد مع ذلك أول خليفة ضرب بالصوالجة والطباطب، ورمى بالنشاب في البرجاس، وقدم أهل الحذق بذلك، وأول خليفة لعب بالشطرنج والنرد وقدم اللعّاب وأجرى عليهم الأرزاق، وأول خليفة اتخذ القيان من بنى هاشم فتشبه الناس جميعًا به وسلكوا سبيله. وكان وزراؤه من البرامكة، فكان يحيى بن خالد يحبّ الحكمة والكلام والنظر، ففى أيامه كثر المتكلمون وجادلوا وناظروا ووضعوا الكتب، منهم هشام بن الحكم، وضرار بن عمرو، ومعمر بن عمر، وهو أيضًا نظر

ﻓﻲ كتب الكيمياء. فكانت البرامكة سمحاء كرماء، أجوادًا معطين مفضلين، فتشبه عمّالهم والناس جميعًا بهم، حتى إن أيام الرشيد كانت تسمى لكثرة ما كان بها من المفضلين أيام العرس. وأفعال البرامكة مشهورة معروفة. ولم يكن ﻓﻲ ناحية الرشيد إلا مفضل إما عن حقيقة وإما على التشبيه. وكان الرشيد أول خليفة كتب ﻓﻲ صدور الكتب: «وأسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله ﷺ»، فامتثلت الخلفاء ذلك بعده، وأول خليفة لبس القلنسوة الطويلة الرصافية، وأول خليفة كتب على الأعلام السواد بالبياض «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

وأما أم جعفر بنت جعفر بن المنصور فإنها كانت تريد أن تتقدم الرشيد ﻓﻲ كل شىء من جدّ وهزل. فأما الجد فالآثار الجميلة التى ليس ﻓﻲ الإسلام مثلها، فإنها حفرت عين المشاش وساقتها اثنى عشر ميلًا إلى مكة، وأنفقت عليها ألف ألف وسبع مئة ألف دينار، ثم اتخذت المصانع والسقايات والمتوضئات حول المسجد الحرام، وبنت دور السبيل ومصانع (أحواض المياه العظيمة) بمنى، وﻓﻲ عرفات سقايات، وحفرت آبارًا ﻓﻲ منى على طريق مكة، ووقفت على ذلك ضياعا غلّتها ثلاثون ألف دينار ﻓﻲ السنة وبنت ﻓﻲ الثغور دور السبيل، وعملت البيمارستانات، وحبست ضياعا على الثغور وعلى الفقراء والمساكين ما غلّته مئة ألف دينار.

وأما ما يتليّن به الملوك وينعمون به، فهى أول من عمل ﻓﻲ الإسلام الآلة من الذهب والفضة المكللة بالجوهر، واتخذت رفيع الوشى حتى بلغ ثوب وشى عُمل لها خمسين ألف دينار، وأول من اتخذ الشاكرية من الخدم والجوار يركبون الدوابّ ويختلفون ﻓﻲ حوائجها برسائلها وكتبها، وأول من عمل القباب من الفضة والأبنوس والصندل؛ ورأسها وكلاليبها من الذهب والفضة ملبسة بالوشى والسمور والديباج والخزّ والملحم والدبيقى، وأول من اتخذ القمص اللؤلؤ مفصلة بالجوهر، وشمع العنبر، وتشبه الناس بأم جعفر ﻓﻲ جميع أفعالها.

وكان محمد الأمين بن الرشيد، وأمه أم جعفر، فقدم الخدم وآثرهم ورفع منازلهم. فلما رأت أم جعفر استضعافه بالخدم اتخذت الجوارى المقدودات الحسان الوجوه، فَطَرَّت رؤوسهن، وجعلت لهن الطرر والأصداغ وشعور الأقفاء، وألبستهن الأقبية والمناطق، وكانت أول من فعل ذلك، وبعثت بهنّ إليه. وأبرزتهن

للناس، فاتخذت الناس من الخاصة والعامة الجوارى المطمومات، وألبسوهن الأقبية والمناطق وسموهن الغلاميات. وقصرت أيام محمد حتى قُتل.

وكان المأمون أمير المؤمنين ابن الرشيد فكان في أول خلافته يغلبه الفضل، ويستعمل النجوم والنظر فيها، ويذهب مذاهب ملوك الفرس، ويشتهى قراءة الكتب القديمة. فلما قدم العراق أطرح ذلك، وأظهر القول بالعدل والتوحيد (مذهب المعتزلة)، وجالس المتكلمين والفقهاء والأدباء، وأقدمهم من البلدان وأجرى لهم الأرزاق، فكثر المتكلمون في أيامه، ووضع كل امرئ كتابًا ينصر قوله ويردّ على من خالفه. وكان أكرم الناس عفوًا وأحسنهم مقدرة وأجودهم بالمال وأبذلهم للعطايا. فأما عفوه فإنه عفا عن إبراهيم بن المهدى، وقد خلعه إبراهيم بعد أن كان عامله على البصرة، ودعا إلى نفسه وتسمى بأمير المؤمنين وحارب أصحابه. وعفا عن الفضل بن الربيع وهو الذى كان حمل محمدًا على خلعه من ولاية العهد ووجه الجيوش لمحاربته، ثم أعطاه الأمان فنكث ودعا الناس إلى البيعة لإبراهيم بن المهدى. وعفا عن إسماعيل بن جعفر بن سليمان، وقد خلعه وقال فيه أقبح القول. وعفا عن نعيم بن حازم وقد أقام يحاربه عدة سنين. وعفا عن عيسى ابن محمد بن أبى خالد وقد نكث بيعته مرة بعد أخرى وحارب أصحابه حتى قتل صاحب شرطته. وعفا عن سهل بن سلامة المطوعى، وكان يلبس الصوف ويعلق المصحف في عنقه، ويأمر الناس بخلع المأمون؛ ولا يطيعه أحد طاعة. وعفى عن مهدى بن علوان الشارى، وقد تسمى بأمير المؤمنين وحارب أصحابه، فظفر به بغير عهد ولا أمان. وعفا عن دعبل الشاعر وقد هجاه بأقبح هجاء. وعفا عن عبيد الله بن السرى بن الحكم المتغلب على مصر وقد أقام يحارب عدة سنين. وعفا عن محمد بن جعفر بن محمد العلوى. وقد خرج بمكة وتسمى بأمير المؤمنين. وعفا عن زيد بن موسى بن جعفر وقد خرج بالبصرة وخلع المأمون. وعفا عن إبراهيم ابن موسى بن جعفر بن محمد العلوى وقد خرج باليمن وحارب الجلودى. وعفا عن جميع المتغلبين مثل رباح بن أبى رمثة بديار ربيعة، والعباس بن زفر الهلالى المتغلب بقورس من جند قنسرين، ونصر بن شبيب العقيلى المتغلب بديار مضر مع محاربته أيامًا، وعن عثمان بن ثمامة العبسى الخارج عليه بالحجاز، وعن

الحوارى بن حطان التنوخى الخارج بحاضر تنوخ، وعن غير هؤلاء ممن لو ذكرناه لطال الكتاب. وقال: حبب إلى العفو حتى ما أرانى أؤجر عليه.

فأما الجود والسماحة، فإنه أمر في يوم واحد لثلاثة نفر بألف ألف وخمس مئة ألف دينار لكل واحد خمس مئة ألف دينار، وقل المال في بيت المال فجمع أصحابه وقال: إنه قد قل وأضر ذلك بنا وبأوليائنا، فاستقرضوا لنا من التجار مقدار عشرة آلاف ألف درهم إلى أن تأتى الأموال فنردها. فقام غسان بن عباد فذكر ما أنعم عليه وعرض ثلاثين ألف ألف درهم وقال: هى حاصلة عندى، وقام حميد بن عبد الحميد الطوسى وقال مثل ذلك، وقام من حضر المجلس من أصحابه فعرض ما عنده حتى بلغ ما عرضوا عليه مئة ألف ألف وستة وخمسين ألف ألف درهم، فلم يقبل من أحد منهم شيئًا، وجزّاهم الخير. وتأخرت الأموال، وبشر بموافاة مال خراج فارس فركب ينظر إليه، ثم فرقه كله، فلم يبق إلا مقدار إعطاء الجند. فأمر المعلى بن أيوب بقبضه. وكان أصحابه ووزراؤه وكتابه وقواده يتقبلون فعله ويسلكون سبيله ويذهبون مذهبه.

فمنهم الحسن بن سهل، وكان أكرم الناس وأجودهم وأكثرهم إفضالًا وأجملهم لنائبة وفادحة، وأصبرهم على إعطاء كلّ من سأله.

وكان حميد بن عبد الحميد الطوسى جوادًا سمحًا مفضلا، ووقف ضياعًا غلتها في السنة مئة ألف دينار على أهل البيوتات وذوى الأقدار، وكان لا يرد أحدًا. وكان غسان بن عباد سمحًا، فرق في يوم واحد ثلاثة عشر ألف ألف درهم، وكان إذا سأله أحد حاجة يكلم فيها المأمون أعطاه من ماله وكلم المأمون.

وكان عبد الله بن طاهر عظيم المروءة حسن الاحتمال حسن الإجمال، أمر في يوم واحد لثلاثة من أصحابه بثلاث مئة ألف دينار، لكل واحد بمئة ألف دينار، وثلاثة نفر بمئة وخمسين ألفًا، لكل واحد بخمسين ألف دينار. وكان على بن هشام أسمح الناس وأحسنهم مروءة، وكان مطبخه يحمل إذا سافر على سبع مئة بعير. وكان أحمد بن يوسف كاتبه عظيم المروءة. وكان الناس عامة على أخلاق محمودة.

وشغب الجند ببغداد فكثر ضجيجهم لتأخر أرزاقهم فخرج إليهم فرج الرخجى فضمن لهم أرزاق سنة ثم دفعها إليهم من ماله.

وكان أول خليفة كتب على عنوانات كتبه «بسم الله الرحمن الرحيم»، وأول خليفة صيَّر ديوان الفرض للجند، وأول خليفة أرخ الكتب باسم كاتبه وإنما كانت تؤرخ باسم المحرر، وبقيت هذه الرموز.

ثم كان المعتصم، وهو محمد بن هارون الرشيد، فسلك في المقالة في الدين مذهب المأمون، وكان الذى يغلب عليه الفروسية والتشبه بالعجم، فلبس الثياب الضيقة الأكمام فضيق الناس أكمام ثيابهم، ولبس الخفاف الكبار والشاش المربعة، وكان أول من لبس شاشية مربعة فلبسها الناس تشبهًا به، ونُسبت إليه وقيل «الشاشى المعتصمية». وكان أول خليفة ركب السروج المكشوفة واتخذ الآلات العجمية فتشبه الناس به. ولم يكن في عصره من وزرائه وقواده وكتابه من يوصف بإعطاء ولا جود ولا احتمال إلا الحسن بن سهل على تقاصر أحواله، وابن أبى دؤاد، فإنه كان ذا فضل ومعروف كثير، وكان ابن أبى دؤاد غالبًا على أمره مقدمًا عنده.

ثم كان هارون الواثق بن المعتصم، فكان مذهبه في الدين والقول بالعدل على مذهب أبيه المعتصم وعمه المأمون، (مذهب المعتزلة) وأظهر ذلك وامتحن عليه وعاقب من خالفه وحبس من أبدى عنادًا فيه. وكتب إلى القضاة في الآفاق أن يمتحنوا العدول فلا يقبلوا شهادة من لم يقل بقوله، فغلب هذا على الناس، وتقربوا به إلى ابن أبى دؤاد وإلى القضاة. ولم يكن في عصره من يضرع إليه إلا ابن أبى دؤاد. وكان الواثق كثير الأكل واسع الطعام كثير الصدقات متفقدًا لأهل بيته في كل بلد.

ثم كان جعفر المتوكل بن المعتصم، فأبطل ما كان يقول به الواثق وأظهر القول بالسنة والجماعة، وأطلق من كان في المحابس ممن حبس بسبب عدم القول بخلق القرآن، ونهى عن الجدل، وأمر كل من أطلقه من المحدثين أن يتحدثوا، فترك الناس تلك المقالة وأنكرها من كان يقول بها وارتفع الجدل والمناظرة.

وكان مما أحدثه بناء الحبوس [الأوقاف] والأروقة التى عليها الأبواب فبنى الناس جميعًا (بسُرَّ مَنْ رَأى) [سامراء] هذا البناء. وآثر لبس الثياب المُلحم على جميع الثياب فكان لباسه ولباس كل من في داره من كبير وصغير، وارتفع ثمن المُلحم في أيامه لجودتها. وكانت أيامه أيامًا حسنة ناضرة كثيرة الخير، على أنه أول خليفة أظهر العبث وأطلق في مجلسه الهزل والمضاحك وأشياء تركنا ذكرها ذاعت في الناس واستعملوها وجروا فيها. ولم يكن المتوكل ممن يوصف بإفضال ولا جود، وكان الفتح بن خاقان أغلب الناس عليه وأشدهم تقدمًا عنده، ولم يكن ممن يرجى فضله ولا يخاف مكروهه. وكان عبيد الله بن يحيى خاقان وزيره، وكان طالبًا للسلامة، له مروءة في نفسه، ولا إفضال له على أحد، إلا أن الناس يأمنون منه المكروه، وكان يعتدى عليه بقول لا حقيقة له، فكان أحمد بن إسرائيل يقول: تعلمنا منه الكذب.

وكان محمد المنتصر بن المتوكل، فلم تطل أيامه فتعرف مذاهبه، غير أنه كان بخيلًا. وكان أحمد بن الخطيب كاتبه ووزيره، فكان قليل الخير كثير الشرّ شديد الجهل.

وكان المستعين، وهو أحمد بن محمد بن المعتصم، وكان أول خليفة وسع أكمام الثياب فجعلها ثلاثة أشبار ونحوها، وصغر القلانس وقصرها، ولا يعرف له مذهب اتبعه الناس عليه، ولا أخلاق تشبه الناس به فيها، وشغل عن كل شيء بما تهيأ عليه من المخالفة والخلع.

وكان المعتز، وهو أبو عبد الله بن المتوكل، أول خليفة ركب بحلية الذهب، وكانت الخلفاء تركب بالحلية الخفيفة من الفضة في المناطق والسيوف والسروج واللجم، فلما ركب بحلية الذهب اتبعه الناس على ذلك. ولم تعرف له أخلاق تحمد ولا تُذَمّ.

ثمّ ولى المهتدى وهو محمد بن الواثق، فذهب إلى القضاء في الدين وجلس للمظالم ووقع بخطه وقرب الفقهاء، وكان يقول: يا بنى هاشم دعونى أسلك مسلك عمر بن عبد العزيز فأكون عليكم مثله في بنى أمية. وتقلل في اللباس والفرش وتوهم الناس عليه أنه يذهب مذهب أبيه في القول بخلق القرآن.

والمعتمد، وهو أحمد بن المتوكل، فإنه لم تطل أيامه حتى غلب على أمره، فآثر اللذة واعتكف على الملاهى، وغلب أخوه أبو أحمد على الأمور حتى حظر عليه وحبسه، وكان أول خليفة قُهر وحُجر عليه وحظر.

ثم كان المعتضد، وهو أحمد بن أبى أحمد بن المتوكل، فكان رجلًا شهمًا حازمًا.

(مشاكلة الناس لزمانهم. تأليف أحمد بن إسحاق اليعقوبى المؤرخ تحقيق وليم ملورد/٩ ٣٥)

وهكذا يتوقف اليعقوبى عند عصر المعتضد، بعد أن بدأ بذكر الخلفاء الراشدين، ومن بعدهم خلفاء بنى أمية، ثم خلفاء بنى العباس حتى عصر المعتضد.

وهذا الذى أجمله اليعقوبى في رسالته النفيسة. قد رسم لنا المنهج الذى نسير عليه في تحليل ما جرى ويجرى في كل العصور في العصور التى تلت عصر المعتضد حتى نشر كتابنا هذا، فنقف على سرّ تغير الناس في طباعهم وأخلاقهم.

وبعد، أفلا يحق لنا أن نرد هذا كله إلى حقيقة ثابتة هى أن «الناس على دين ملوكهم»، ومعنى ذلك أن الحكام هم أولًا وآخرًا قدوة تقتدى بهم الرعية في الخير والشر على السواء، وإذا فسد الراعى فسدت الرعية ؟ والله من وراء القصد. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وإلى هنا تأتى إلى ختام بحثنا الذى أحصينا فيه ما جاء عن «الناس» وصفاتهم وطبائعهم، وكيفية التعامل معهم لاتّقاء شرهم، وذلك في كل من القرآن الكريم، والسُّنَّة النبوية المشرفة، والأمثال، وفي الشعر، وفي مصنفات التراث. وقد أوردنا منها ثلاثة نماذج.

والحمد لله الذى به تتم الصالحات.

المراجـع

- معجم ألفاظ القرآن الكريم. جمهورية مصر العربية. مجمع اللغة العربية. الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث ١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م.
- معجم ألفاظ القرآن الكريم إعداد المرحوم الأستاذ محمد على النجار عضو المجمع. مجمع اللغة العربية ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م.
- عجائب علوم القرآن لابن الجوزى حققه وقدم له وعلق عليه د. عبد الفتاح عاشور. الزهراء للإعلام العربى. الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ١٩٨٦ م.
- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م.
- «نظر الإسلام إلى النفاق والمنافقين» لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ أبى الوفا المراغى إعداد وتقديم عبد الفتاح حسين الزيات. من روائع الماضى بمجلة الأزهر. الجزء الخامس. السنة الثانية والستون. جمادى الاولى ١٤١٠ هـ ديسمبر ١٩٨٩.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلاّمة المناوى المدعو بعبد الرؤوف المناوى على كتاب «الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير» للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى. توزيع دار إحياء السنة النبوية د. ت.
- سنن ابن ماجه. السنن للإمام الحافظ أبى عبد الله محمد بن يزيد الربعى ابن ماجه القزوينى بإشراف ومراجعة فضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد ابن إبراهيم آل الشيخ. دار السلام الرياض. الطبعة الأولى محرم ١٤٢٠ هـ. الموافق إبريل ١٩٩٩ م.
- مجمع الأمثال لأبى الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميدانى تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم. عيسى البابى الحلبى وشركاه. القاهرة ١٩٧٧.
- معجم الأبيات الشهيرة. حسن نمر دندشى. منشورات جروس برس طرابلس. لبنان. د. ت.

- أدب الدنيا والدين لأبى الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى الماوردى حققه وعلق عليه ووضع فهارسه محمد فتحى أبو بكر. الدار المصرية اللبنانية. الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م، والطبعة الثانية ١٤١١ هـ ١٩٩١ م، وطبعة وزارة المعارف العمومية. والطبعة السادسة عشرة بالمطابع الأميرية بالقاهرة ١٣٤٣ هـ ١٩٢٥ م.

- الوسيط في الأدب العربى وتاريخه للشيخ أحمد الإسكندرى والشيخ مصطفى عنانى. دار المعارف. القاهرة. الطبعة الثامنة عشرة ١٣٣٥ هـ ١٩١٦ م.

- خريدة القصر وخريدة أهل العصر لعماد الدين أبى عبد الله محمد بن محمد الكاتب الأصبهانى.

- ديوان البهاء زهير شرح وتحقيق محمد طاهر الجبلاوى، ومحمد أبى الفضل إبراهيم. ذخائر العرب (٣٥). دار المعارف بمصر ١٩٧٧ م.

- المنتخب من أدب العرب جمعه وشرحه طه حسين، وأحمد الإسكندرى، وأحمد أمين، وعلى الجارم، وعبد العزيز البشرى، وأحمد ضيف. وزارة المعارف العمومية. القاهرة. المطبعة الأميرية ببولاق ١٩٣٤ م، وطبعة ١٩٥٢ م جمعه وشرحه أحمد الإسكندرى، وأحمد أمين، وعلى الجارم، وعبد العزيز البشرى، والدكتور أحمد ضيف.

- الغصون اليانعة في محاسن المائة السابعة لابن سعيد أبى الحسن على بن موسى الاندلسى بتحقيق إبراهيم الأبيارى. ذخائر العرب (١٤). دار المعارف بمصر. الطبعة الثانية ١٩٦٧ م.

- اللطائف والظرائف تأليف الثعالبى أبى منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل. دار المناهل. بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م.

- العقد الفريد تأليف الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى بتحقيق محمد سعيد العريان. المكتبة التجارية الكبرى. القاهرة. الطبعة الأولى ١٣٥٩هـ ت ١٩٤٠م.

- لسان العرب لابن منظور. دار المعارف بمصر ١٩٧٩ م.

- الشوقيات لأمير الشعراء أحمد شوقى. مكتبة مصر. القاهرة ١٩٩٣م.
- مجموعة من النظم والنثر للحفظ والتسميع. جمع الشيخ محمد شريف بن سليم محمد البيومى. وزارة المعارف العمومية. المطبعة الأميرية بالقاهرة. الطبعة الثالثة ١٩٢٥ م.
- بدائع الزهور في وقائع الدهور. تأليف محمد بن أحمد بن إياس الحنفى المصرى. كتاب الشعب رقم ٩٣ و ٩٦ مطابع الشعب ١٩٦٠ م، والأرقام ١٠٥، ١١٣، ١١٧ مطابع الشعب ١٩٦١م.
- مجالس ثعلب لأبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب شرح وتحقيق عبد السلام محمد هارون. ذخائر العرب (١). دار المعارف بمصر. القسم الأول. الطبعة الثالثة ١٩٦٩م.
- طبقات الشعراء لابن المعتز تحقيق عبد الستار أحمد فراج. ذخائر العرب(٢٠). دار المعارف بمصر ١٩٧٦ م.
- جمالية خط التعليق لحسن قاسم حبش. سلسلة الفنون العربية (١٤). منشورات دار الثقافة. بغداد. الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م.
- ديوان أمير المؤمنين وسيد البلغاء والمتكلمين الإمام على بن أبى طالب -كرم الله وجهه- مصحح ومنقح على الرواية الصحيحة جمع وترتيب عبد العزيز الكرم وهو الناشر أيضًا د. ت.
- قصيدة عنوان الحكم للشاعر الأديب أبى الفتح البستى على بن محمد بن الحسين ضبطها وعلّق عليها عبد الفتاح أبو غدة. مكتبة المطبوعات الإسلامية. بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م.
- تحسين القبيح وتقبيح الحسن. تصنيف أبى منصور الثعالبى تحقيق شاكر العاشور. الجمهورية العراقية. وزارة الأوقاف والشئون الدينية. إحياء التراث الإسلامى (٣٨). الكتاب الثامن والثلاثون. الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م.
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبى منصور الثعالبى أعاد تحقيقها وشرحها وعرَّف بشعرائها ووضع فهارسها إيليا الحاوى. الشركة الشرقية للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى د. ت

- ديوان المتنبى أبى الطيب المتنبى. المركز العربى للبحث والنشر. القاهرة ١٩٨٠، طبعة مصورة ومصغرة عن طبعة أمين هندية. القاهرة ١٩٢٣ م.
- المفصل في تاريخ الأدب العربى. تأليف أحمد الإسكندرى، وأحمد أمين، وعلى الجارم، وعبد العزيز البشرى، وأحمد ضيف. مكتبة الآداب. القاهرة ٢٠٠٥ م.
- الفخرى في الآداب السلطانية لمحمد بن على طباطبا المعروف بابن الطقطقى. راجعها ونقَّحها محمد عوض (بك) إبراهيم والأستاذ الشيخ على الجارم. مطبعة المعارف. القاهرة. ١٩٢٣ م. اعتمدت هذه الطبعة وزارة المعارف العمومية.
- في علمى العروض والقافية للدكتور أمين على السيد. دار المعارف بمصر ١٩٧٤م.
- إنى مهاجر إلى ربى للإمام شمس الدين أبى عبد الله ابن قيم الجوزية. مختصر طريق الهجرتين وباب السعادتين عرض وتقديم فؤاد شاكر. مكتبة التراث الإسلامى ١٩٨٧م.
- سلوك المالك في تدبير الممالك. تأليف شهاب الدين أحمد بن أبى الربيع تحقيق عارف أحمد عبد الغنى «سلسلة كتب التراث (٧)» دار كنان. دمشق ١٤١٦ هـ ١٩٩٥م.
- مشاكلة الناس لزمانهم. تأليف أحمد بن إسحاق اليعقوبى المؤرخ تحقيق وليم ملوَرْد. دار الكتاب الجديد. بيروت. الطبعة الثانية ١٩٨٠ م.
انظر أيضًا:
- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء للإمام الحافظ أبى حاتم محمد بن حبان البستى هذَّبه ونقَّحه وخرَّج أحاديثه ووضع فهارسه إبراهيم بن عبد الله الحازمى. دار الشريف. الرياض. الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ.

والحمد لله الذى به تتم الصالحات . . .

الفهرس